لعبة خطرة

السنابل

المغامرات المثيرة

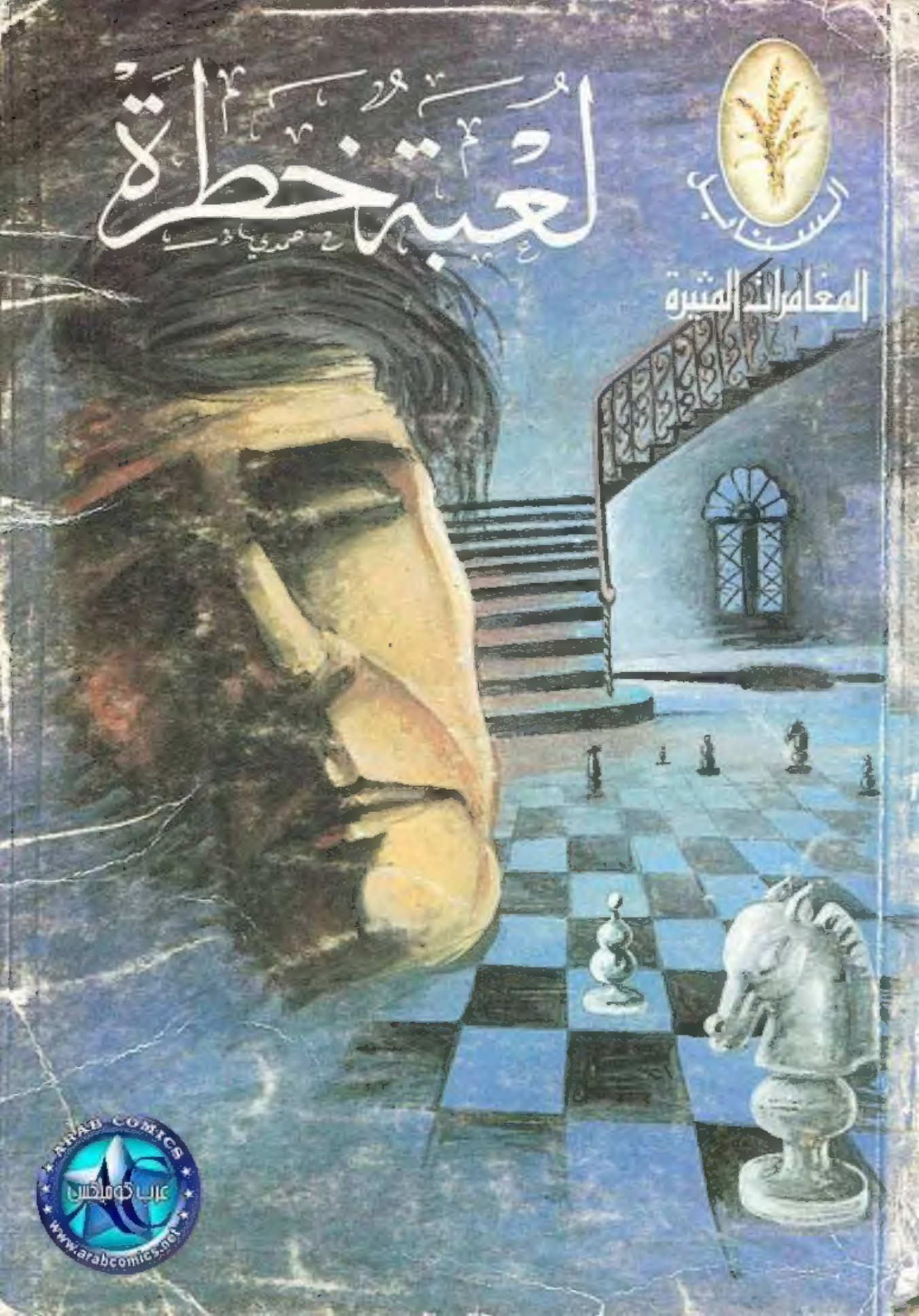

ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة

جميع الحقوق محفوظة : لايجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه أو تسجيله بأية وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٢٩٥ / ٨٨
الترقيم الدولي : ٧-٥٣-١٤٤٥-٩٧٧ ISBN

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة

لعبة خطرة

المغامرات المثيرة

تأليف : وليم هاريس
إعداد : صلاح عبد الخالق
رسوم : حسن عبد الستار

مكتبة لبنان
بيروت

اَلفَصْلُ اَلأَوَّل

بادِئٌ ذي بَدْءٍ

لَسْتُ أَدْري مَتى بَدَأَتْ هٰذِهِ اللُّعْبَةُ ، فَقَدْ مَضى عَلى وَفاةِ زَوْجَتي اثْنا عَشَرَ عامًا ، وَقَدْ بَدَأَتِ اللُّعْبَةُ – بِكُلِّ تَأْكيدٍ – بُعَيْدَ وَفاتِها ، غَيْرَ أَنَّني لا أَسْتَطيعُ تَذَكُّرَ مَتى كانَ ذٰلِكَ . ظَلَلْتُ أَعيشُ في هٰذا اَلمَنْزِلِ بَعْدَ وَفاةِ زَوْجَتي ، وَمازِلْتُ حَتَّى اَلآنَ أَعيشُ فيهِ . وَهُوَ مَنْزِلٌ كَبيرٌ ، أَعيشُ فيهِ بِمُفْرَدي . وَاَلاِنْتِقالُ إِلى مَنْزِلٍ صَغيرٍ أَمْرٌ هَيِّنٌ ، لٰكِنَّني لا أَشْعُرُ بِأَيَّةِ رَغْبَةٍ في تَرْكِ بَيْتي ، فَقَدْ نَشَأَ عِنْدي إِحْساسٌ بِاَلمَحَبَّةِ وَاَلمَوَدَّةِ نَحْوَ كُلِّ شَيْءٍ فيهِ . فَأَنا لَيْسَ لي أَصْدِقاءُ كَثيرونَ ، وَقَدْ أَصْبَحَتِ اَلأَشْياءُ اَلَّتي بِاَلمَنْزِلِ ذاتَ أَهَمِّيَّةٍ خاصَّةٍ بِالنِّسْبَةِ لي ، وَلا يُمْكِنُني اَلعَيْشُ بِدونِها .

لَقَدْ عَرَفْتُ – بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنْ وَفاةِ زَوْجَتي – أَنَّ غُرْفَةَ نَوْمي مَسْكونَةٌ بِاَلأَشْباحِ ، وَكانَتِ اَلغُرْفَةَ اَلوَحيدَةَ بِاَلمَنْزِلِ اَلَّتي تَسْكُنُها اَلأَشْباحُ . فَذاتَ لَيْلَةٍ أَحْسَسْتُ – بِاَلمُصادَفَةِ – بِوُجودِ شَبَحٍ بِاَلغُرْفَةِ ؛ وَلَمْ أَشْعُرْ بِاَلخَوْفِ أَوِ اَلفَزَعِ ، فَقَدْ كانَ اَلشَّبَحُ ظَريفًا يَمْلأُ اَلجَوَّ بِاَلبَهْجَةِ . وَكُنْتُ دائِمًا أَشْعُرُ بِمَيْلٍ شَديدٍ لِلضَّحِكِ عِنْدَ اَلإِحْساسِ بِوُجودِهِ .

قَدْ تَظُنُّونَ أَنَّهُ شَبَحُ زَوْجَتي . لا أَدْري ، فَأَنا دائِمًا أُفَكِّرُ في اَلشَّبَحِ عَلى أَنَّهُ لِرَجُلٍ وَلَيْسَ لِاِمْرَأَةٍ . وَقَدْ أَطْلَقْتُ عَلَيْهِ اسْمَ بُولْدي اَلَّذي اقْتَبَسْتُهُ

مِنْ اسْمِ شَبَحٍ صَحّابٍ تَتَحَدَّثُ عَنْهُ ٱلأَساطِيرُ . فَقَدْ كانَ شَبَحًا يُحْدِثُ ضَوْضاءَ شَدِيدةً ، وَكَما تَعْلَمونَ أَنَّ الشَّبَحَ الظَّرِيفَ شَبَحٌ يُحِبُّ اللَّعِبَ وَيَعْمِدُ إلى إسْقاطِ ٱلأَشْياءِ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَإحْداثِ ضَوْضاءٍ عالِيةٍ ، وَقَذْفِ ٱلأَشْياءِ هُنا وَهُناكَ ، بَلْ يَعْمِدُ أَحْيانًا إلى تَحْرِيكِ ٱلفِراشِ وَ ٱلقِيامِ بِبَعْضِ ٱلأَلْعابِ .

كانَ بُولْدي ظَرِيفًا وَمُحِبًّا لِلَّعِبِ ، وَلِذٰلِكَ اخْتَرَعْنا لُعْبَةً ظَرِيفَةً ، نَلْعَبُها مَعًا كُلَّ لَيْلَةٍ ، وَنَحْنُ نَقومُ بِذٰلِكَ مُنْذُ سَنَواتٍ . وَفي ٱلواقِعِ ، عَلَيَّ أَنْ أَلْعَبَ اللُّعْبَةَ دائِمًا قَبْلَ أَنْ أَنامَ ، وَلايُمْكِنُني النَّوْمُ إذا لَمْ أَلْعَبْها .

وَبُولْدي لايَظْهَرُ في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، فَهُوَ لَيْسَ شَبَحًا عادِيًّا ، وَإنَّما هُوَ دائِمًا في ٱلغُرْفَةِ ، وَلايَظْهَرُ إلّاعِنْدَما نَلْعَبُ اللُّعْبَةَ . وَلَسْتُ مُضْطَرًّا – بِطَبِيعَةِ ٱلحالِ – لِأَنْ أَلْعَبَ هٰذِهِ اللُّعْبَةَ ، لٰكِنَّني دائِمًا أُقْبِلُ عَلَيْها بِشَوْقٍ وَرَغْبَةٍ ، وَأَعْرِفُ تَمامًا أَنَّ بُولْدي يُشارِكُني هٰذا ٱلإحْساسَ .

إنَّني أَقومُ ٱلآنَ بِكِتابَةِ هٰذِهِ ٱلقِصَّةِ لِأَحْكِيَ لَكُمْ عَنْ هٰذِهِ اللُّعْبَةِ ، ٱلَّتي لايَعْرِفُ أَحَدٌ عَنْها شَيْئًا ، بَلْ إنَّ أَقْرَبَ أَصْدِقائي (أَوْ بِٱلأَحْرى صَدِيقَيَّ ٱلوَحِيدَ) لايَعْرِفُ عَنْها شَيْئًا . أَنا وَبُولْدي وَحْدَنا نَعْرِفُ أُصُولَها ، وَهِيَ سِرُّنا ٱلكَبِيرُ . لَقَدْ تَكَلَّمْتُ كَثيرًا ، إلّا أَنَّكَ حينَ تُقيمُ في مَكانٍ ما بِمُفْرَدِكَ ، فَإنَّكَ كَثيرًا ما تَتَغَلَّبُ عَلى ٱلشُّعورِ بِٱلوَحْدَةِ بِٱلحَديثِ مَعَ نَفْسِكَ !

وَلْنَبْدَإ ٱلآنَ ٱلقِصَّةَ مِنَ ٱلبِدايَةِ . اِسْمي وِلْيم هاريس ، وَعُمْري ثَمانِيَةٌ وَأَرْبَعون عامًا ، وَلَعَلَّكُمْ سَمِعْتُمْ عَنّي . لَسْتُ رَجُلًا مَشْهُورًا ، وَلٰكِنَّ عَدَدًا كَبيرًا مِنَ النّاسِ سَمِعوا عَنّي فِعْلًا . فَأَنا كاتِبٌ ، وَقَدْ أَلَّفْتُ خَمْسَةً وَعِشْرينَ كِتابًا .

أَنا أَقومُ بِتَأْليفِ جَميعِ أَنْواعِ ٱلقِصَصِ : قِصَصِ ٱلحُبِّ ، وَٱلقِصَصِ ٱلبولِيسِيَّةِ ، وَقِصَصِ ٱلأَشْباحِ أَيْضًا . وَأَرْجو أَلّا تُسيئوا فَهْمي ، فَقِصَّتُنا ٱلْيَوْمَ لَيْسَتْ قِصَّةً عادِيَّةً مِنْ قِصَصِ ٱلأَشْباحِ . إنَّها تَخْتَلِفُ تَمامًا عَنْ أَيِّ قِصَّةٍ كَتَبْتُها . وَالسَّبَبُ في ذٰلِكَ أَنَّها قِصَّةٌ حَقيقِيَّةٌ ، جَميعُ أَحْداثِها واقِعِيَّةٌ ، وَمازالَتْ وَقائِعُها تَحْدُثُ كُلَّ يَوْمٍ !

لَسْتُ كاتِبًا مَشْهورًا ، وَمَعَ ذٰلِكَ تُحَقِّقُ كُتُبي مَبيعاتٍ طَيِّبَةً ، تُمَكِّنُني مِنَ ٱلإقامَةِ في هٰذا ٱلمَنْزِلِ ٱلجَميلِ ، كَما تُمَكِّنُني مِنْ تَحَمُّلِ نَفَقاتِ ٱلحَياةِ كَما أُريدُها . لَسْتُ غَنِيًّا ، كَما أَنَّني لَسْتُ فَقيرًا . وَأَنا أَحْيا حَياةً بَسيطَةً ؛ لَقَدْ كانَ أُسْلوبي في ٱلحَياةِ دائِمًا بَسيطًا . وَحينَ كانَتْ زَوْجَتي عَلى قَيْدِ ٱلحَياةِ ، لَمْ تَكُنْ حَياتي بِهٰذِهِ ٱلبَساطَةِ ، كُنّا نَخْرُجُ كَثيرًا ، وَكانَ لَنا أَصْدِقاءُ كَثيرونَ . لٰكِنْ بَعْدَ وَفاتِها أَصْبَحْتُ حَبيسَ ٱلمَنْزِلِ ، لا أَخْرُجُ كَثيرًا ، وَأَقْضي كُلَّ وَقْتي في ٱلكِتابَةِ (وَأَقومُ ٱلآنَ بِكِتابَةِ قِصَّةٍ بولِيسِيَّةٍ أُخْرى ، فَقُرّائي يُفَضِّلونَ ٱلقِصَصَ ٱلبولِيسِيَّةَ ، وَقَدِ ابْتَكَرْتُ شَخْصِيَّةَ ٱلمُخْبِرِ السِّرِّيِّ الشَّهيرَةَ فيلْبَرت وايْلي) . وَقَدْ تَوَقَّفْتُ حالِيًا عَنْ كِتابَةِ قِصَّةٍ

فيلْبِرت وايلي الجَديدةِ ، وَذٰلِكَ لِلتَّفَرُّغِ لِقِصَّتي هٰذِهِ .

وَيَجِبُ أَنْ أُخبِرَكُمْ بِشَيْءٍ عَنْ نَفْسي وَعَنْ زَوْجَتي . فَقَدْ كانَتْ حَياتُنا – حينَذاكَ – مُخْتَلِفَةً تَمامًا عَمّا أَنا فيهِ الآنَ . وَكانَتْ زَوْجَتي جولي تَصْغُرُني بِعامَيْنِ ، وَطِباعُها مُخْتَلِفَةً تَمامًا عَنْ طِباعي : فَهِيَ تُحِبُّ الغِناءَ وَالرَّقْصَ وَالذَّهابَ إلى الحَفَلاتِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَنْزِلُنا – في تِلْكَ الأَيّامِ – يَخْلو مِنَ الأَصْدِقاءِ . وَكانَ مِنْ عادَتِها أَنْ تَقولَ لي : « اِذْهَبْ وَارْتَدِ حُلَّتَكَ ياوِلْيَم ! » وَأَنا لا أُحِبُّ ارْتِداءَ الحُلَلِ . كانَتْ عِبارَتُها تِلْكَ تَعْني أَشْياءَ كَثيرَةً : الاِسْتِعْدادَ لِلْقِيامِ بِزيارَةٍ ما ، أَوِ اسْتِقْبالَ بَعْضِ الأَصْدِقاءِ لِتَناوُلِ الطَّعامِ ، أَوْ الاِسْتِعْدادَ لِحَفْلَةٍ نُقيمُها في مَنْزِلِنا . حَياتي مَعَها مَليئَةٌ بِالمُفاجآتِ ، فَمَعَ جولي كُلُّ شَيْءٍ مُمْكِنٌ ! بِاخْتِصارٍ .. كانَتْ حَياتي بَيْنَ يَدَيْ جولي ، تَفْعَلُ بِها ماتَشاءُ ، وَبِدونِها كُنْتُ لاشَيْءَ ! كُنْتُ أُفَضِّلُ الاِبْتِعادَ وَالاِنْعِزالَ عَنِ العالَمِ ، فَإِذا بِها تَنْقُلُ العالَمَ إلى بَيْتي !

كانَتْ حَياةً رائِعَةً ، لِأَنَّ جولي جَعَلَتْها كَذٰلِكَ . وَكُنْتُ مَوْضِعَ غَيْرَةِ أَصْدِقائي ، فَكانوا يَتَهامَسونَ : « بِالحَظِّ وِلْيَم ! أَسْعَدَهُ الحَظُّ بِزَوْجَةٍ رائِعَةٍ حَقًّا ، بِالرَّغْمِ مِنْ طِباعِهِما المُخْتَلِفَةِ .. وِلْيَم هادِئُ الطَّبْعِ ، غَيْرُ جَذّابٍ ، بَيْنَما جولي تَمْتَلِئُ حَيَوِيَّةً وَنَشاطًا . »

نَعَمْ ، كانوا يَحْسُدونَني عَلى جولي ! كُنّا سُعَداءَ ، وَكانَ مَصْدَرُ هٰذِهِ السَّعادَةِ مايَحْمِلُهُ كُلٌّ مِنّا لِلآخَرِ مِنْ حُبٍّ .

وَفَجْأَةً وَقَعَتْ جولي فَريسَةً لِلْمَرَضِ ، الَّذي سَرْعانَ ما اشْتَدَّ بِها . وَلَجَأْتُ لِكِبارِ الأَطِبّاءِ لٰكِنَّهُمْ أَخْفَقوا جَميعًا في عِلاجِها . وَكُنْتُ أُلازِمُها وَأُعْنى بِها لَيْلًا وَنَهارًا ، لٰكِنَّها فارَقَتِ الحَياةَ بَعْدَ فَتْرَةٍ لَمْ تَتَجاوَزِ الشَّهْرَيْنِ .

رَحَلَتْ جولي ! لاأَسْتَطيعُ أَنْ أُصَدِّقَ ، بَلْ إِنَّني مازِلْتُ – بَعْدَ كُلِّ هٰذِهِ السَّنَواتِ – لاأَسْتَطيعُ أَنْ أُصَدِّقَ . رَحَلَتْ جولي وَرَحَلَ مَعَها جُزْءٌ مِنّي . إِنَّها تَعيشُ الآنَ في ذاكِرَتي ، وَلا أَسْتَطيعُ نِسْيانَها ، وَلَنْ أُنْساها أَبَدَ الدَّهْرِ .

وَلَمْ أُرِدِ الزَّواجَ مَرَّةً أُخرى . عِنْدَما ماتَتْ جولي كانَ قَدْ مَرَّ عَلى زَواجِنا اثْنا عَشَرَ عامًا ، وَها قَدْ مَرَّ عَلى وَفاتِها اثْنا عَشَرَ عامًا . وَلَمْ يَرْزُقْنا اللهُ بِأَطْفالٍ ؛ لِذٰلِكَ عِنْدَما ماتَتْ تَرَكَتْني وَحيدًا ، حَبيسَ جُدْرانِ هٰذا

المَنْزِل . وَأَغْرَقْتُ نَفْسي في العَمَلِ ، مُحاوِلًا – في البِدايةِ – أَنْ أَبْتَعِدَ عَنِ التَّفْكيرِ فيها . وَكانَ الأَلَمُ يَعْتَصِرُني أَوَّلَ الأَمْرِ .. وَمَعَ مُرورِ الزَّمَنِ تَحَسَّنَتِ الأُمورُ قَليلًا ، بِالرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ زَوالِ الأَلَمِ تَمامًا ، إِلَّا أَنَّني حينَ أُفَكِّرُ في جولي أَحِسُّ أَنَّها لَمْ تَمُتْ ، بَلْ مازالَتْ حَيَّةً في ذاكِرَتي وَفِكْري .

بِطَبيعةِ الحالِ فَقَدْتُ مُعْظَمَ أَصْدِقائي .. هَؤُلاءِ الأَصْدِقاءِ الحاقِدينَ الَّذينَ كانوا يَميلونَ لِجولي ، وَلايَحْمِلونَ لي كَثيرًا مِنَ الوُدِّ . وَالآنَ وَقَدْ أَصْبَحَ البَيْتُ خالِيًا مِنْ جولي لَمْ أَعُدْ أَتْرُكُهُ ، وَلَمْ أَعُدْ أَذْهَبُ إِلى الحَفَلاتِ أَوْ أَدْعو الأَصْدِقاءَ إِلى مَنْزِلي . وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتَّى تَخَلَّى عَنّي جَميعُ الأَصْدِقاءِ ، فَلَمْ يَكونُوا يَرْغَبونَ في قَضاءِ أَوْقاتِهِمْ مَعَ شَخْصٍ مُمِلٍّ مِثْلي . لَمْ يَعُدْ هُناكَ مَنْ يَغارُ مِنِّي الآنَ ، وَلَمْ أَعُدْ وَلِيمَ سَعيدَ الحَظِّ ، بَلْ أَصْبَحْتُ مُجَرَّدَ وَلِيمَ المِسْكينِ .

لَيْسَ لي الآنَ غَيْرُ صَديقٍ مُخْلِصٍ واحِدٍ ، يُدْعى لِويس ، يَعْمَلُ بِالتَّأْليفِ أَيْضًا ، إِلَّا أَنَّني أَجْهَلُ – تَمامًا – الكُتُبَ الَّتي أَلَّفَها ، وَلَمْ أَقْرَأْ أَيًّا مِنْها ، وَلَمْ تَقَعْ عَيْنايَ – في الواقِعِ – عَلى أَيِّ كُتُبٍ لَهُ في المَكْتَباتِ .

عِنْدَما نَلْتَقي – أَنا وَلِويس – لانَتَحَدَّثُ أَبَدًا عَنِ الكُتُبِ ، ذَلِكَ لِأَنَّ لَدَيْنا اهْتِمامًا آخَرَ .. فَكُلٌّ مِنّا يَهْوى لُعْبَةَ الشَّطْرَنْجِ ، وَنَتَقابَلُ مَرَّةً في

الأُسْبوعِ حَوْلَ رُقْعَةِ الشَّطْرَنْجِ .

يَزورُني لِويس كُلَّ يَوْمِ أَرْبِعاءَ ، وَيَصِلُ دائِمًا في السّاعَةِ الثّامِنَةِ مَساءً ، فَنَظَلُّ نَلْعَبُ الشَّطْرَنْجَ لِمُدَّةِ ثَلاثِ ساعاتٍ تَقْريبًا .

نَلْعَبُ أَحْيانًا عِدَّةَ مُبارَياتٍ ، وَأَحْيانًا نَكْتَفي بِمُباراةٍ واحِدَةٍ فَقَطْ ، وَفي حَوالَى الحادِيَةَ عَشْرَةَ يَعودُ لِويس إِلى مَنْزِلِهِ ، وَأَتَوَجَّهُ أَنا إِلى حُجْرَةِ النَّوْمِ لِأَلْعَبَ لُعْبَةً مُخْتَلِفَةً مَعَ بُولْدي . سَأَحْكي لَكُمْ عَنْها فيما بَعْدُ .

إِنَّ لِويس – في الواقِعِ – صَديقٌ مُخْلِصٌ جِدًّا ، نَلْعَبُ الشَّطْرَنْجَ مَعًا ، وَلانَتَحَدَّثُ كَثيرًا عادَةً ، بَلْ أَحْيانًا لانَتَكَلَّمُ كَلِمَةً واحِدَةً طَوالَ المَساءِ ، فَالأَصْدِقاءُ المُخْلِصونَ لَيْسوا في حاجَةٍ إِلى الكَلامِ .

لَعَلَّكَ تُدْرِكُ الآنَ أَنَّ لِويس يَعْرِفُني تَمامَ المَعْرِفَةِ ، وَأَنَّني أَعْرِفُهُ تَمامَ المَعْرِفَةِ ، فَقَدْ كُنّا أَصْدِقاءَ مُذْ كُنّا طُلّابًا . كانَ لِويس صَديقي قَبْلَ أَنْ أَتَعَرَّفَ عَلى جولي ، وَهُوَ يَعْرِفُ الكَثيرَ عَنّي ، إِلَّا أَنَّ هُناكَ بَعْضَ الأَشْياءِ لايَعْرِفُها عَنّي .. وَأَنا عَلى يَقينٍ مِنْ أَنَّهُ سَيُدْهَشُ عِنْدَ قِراءَتِهِ لِهٰذِهِ القِصَّةِ .

كُنّا – أَنا وَلِويس – نَلْعَبُ الشَّطْرَنْجَ مَعًا لِسَنَواتٍ طَويلَةٍ ، وَاعْتادَ أَنْ يَحْضُرَ إِلى مَنْزِلي أَثْناءَ حَياةِ جولي . وَلَمْ نَكُنْ – أَنا وَجولي – نَحْضُرُ – إِطْلاقًا – أَيَّةَ حَفَلاتٍ يَوْمَ الأَرْبِعاءِ ، فَيَوْمُ الأَرْبِعاءِ كانَ – دائِمًا – يَوْمي المُخَصَّصَ .

يَجِبُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ أَنَّ لِويس سَيَكونُ هُنا غَدًا ، وَنَحْنُ الآنَ في صَباحِ يَوْمِ الثُّلاثاءِ . إِنَّني أَجْلِسُ إِلى مَكْتَبي في حُجْرةِ المَكْتَبِ ، مُنْهَمِكًا في كِتابةِ هٰذِهِ القِصَّةِ ،وَشَمْسُ الشِّتاءِ تَتَلَمَّسُ طَرِيقَها عَبْرَ نافِذةِ حُجْرةِ مَكْتَبي . وَهُوَ يَوْمٌ جَميلٌ إِلّا أَنَّني لا أَميلُ لِلْخُروجِ إِطْلاقًا في هٰذِهِ الأَيّامِ ، فَقَدْ أَصْبَحَ فيلْبَرْت وايْلي رَفيقَيَ الوَحيدَ .

أَشْعُرُ – في هٰذِهِ اللَّحْظَةِ – بِتَعَبٍ شَديدٍ ، وبِمَيْلٍ لِلنَّوْمِ ، لِأَنَّني لَمْ أَنَمْ جَيِّدًا اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ ، فَقَدْ قَضَيْتُها في اللَّعِبِ مَعَ بُولْدي ، وَاسْتَمَرَّتِ اللُّعْبَةُ وَقْتًا طَويلًا .. سَأَحْكي لَكُمْ عَنْها ، وَلٰكِنْ لَيْسَ الآنَ .

هٰذِهِ هِيَ حَياتي . حَياةٌ بَسيطَةٌ لِلْغايَةِ ، لَيْسَ فيها مايُثيرُ الانْتِباهَ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ كَيْفَ تَكونُ الحَياةُ مُمْتِعَةً بِدونِ وُجودِ جولي ؟ فَما أَنا الآنَ إِلّا كاتِبٌ في وَسَطِ العُمْرِ ، يَعيشُ وَحيدًا في مَنْزِلٍ كَبيرٍ ، لَمْ يَبْقَ لَهُ في هٰذِهِ الدُّنْيا غَيْرُ صَديقٍ مُخْلِصٍ واحِدٍ . لَدَيَّ كُتُبي ، وَلَدَيَّ فيلْبَرْت وايْلي – الْمُخْبِرُ السِّرِّيُّ الشَّهيرُ – وَمِنَ المُحْتَمَلِ أَنَّني أَعيشُ حَياتي مِنْ خِلالِ فيلْبَرْت ، وَلَدَيَّ الشَّطْرَنْجُ وَالكَثيرُ مِنَ الذِّكْرياتِ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَهِيَ لَيْسَتْ حَياةً حَزينَةً ، كَما أَنَّها لَيْسَتْ هادِئَةً تَمامًا ، فَكَثيرٌ مِنَ الأَشْياءِ تَحْدُثُ في هٰذا المَنْزِلِ .. فَهُناكَ كَثيرٌ مِنَ الضَّجيجِ وَالضَّحِكِ وَ .. وَالفَضْلُ في كُلِّ ذٰلِكَ يَرْجِعُ إِلى بُولْدي الَّذي لَمْ أُخْبِرْكُمْ عَنْهُ شَيْئًا بَعْدُ . وَيَبْدو أَنَّ

بُولْدي وَالضَّحِكَ شَيْئانِ مُتَلازِمانِ – أَعْني أَنَّهُما عادَةً ما يَكونانِ مُتَلازِمَيْنِ .

لاأَعْرِفُ مَتى بَدَأَتِ اللُّعْبَةُ . لَقَدْ أَخْبَرْتُكُمْ بِذٰلِكَ مِنْ قَبْلُ ، وَلا أَسْتَطيعُ أَنْ أَذْكُرَ في أَيِّ وَقْتٍ كانَتْ مُقابَلَتي الأُولى مَعَ بُولْدي ، إِلّا أَنَّني أَذْكُرُ تَمامًا كَيْفَ تَمَّتْ هٰذِهِ المُقابَلَةُ . أَذْكُرُ اللَّحْظَةَ الأُولى الَّتي ظَهَرَ فيها ، أَعْني اللَّحْظَةَ الَّتي أَدْرَكْتُ أَنَّهُ في حُجْرةِ نَوْمي ، بَلْ إِنَّني لَأَذْكُرُ كُلَّ تَفْصيلاتِها ؛ وَلِذٰلِكَ أَوَدُّ أَنْ أَحْكِيَ لَكُمْ عَنْها بِالتَّفْصيلِ . إِلّا أَنَّهُ لابُدَّ لي – أَوَّلًا – أَنْ أُخْبِرَكُمْ أَنَّ حُجْرةَ نَوْمي لَمْ تَكُنْ مَسْكونَةً بِالأَشْباحِ في حَياةِ جولي ، وَرُبَّما كانَتْ كَذٰلِكَ وَلٰكِنْ لَمْ أَكُنْ أُدْرِكُ الأَمْرَ ، وَلَنْ أَعْرِفَ الحَقيقَةَ أَبَدًا .

هَلْ تَعْتَقِدونَ في وُجودِ الأَشْباحِ ؟ حَقيقَةً كَتَبْتُ عَدَدًا مِنْ قِصَصِ الأَشْباحِ ، إِلّا أَنَّها لَمْ تَتَعَدَّ كَوْنَها مُجَرَّدَ قِصَصٍ . وَلَمْ أَكُنْ أَعْتَقِدُ في وُجودِ الأَشْباحِ ، وَمازِلْتُ غَيْرَ مُتَأَكِّدٍ مِنْ وُجودِها، إِلّا أَنَّني عَلى يَقينٍ مِنْ أَمْرٍ واحِدٍ ، وَهُوَ أَنَّ في حُجْرةِ نَوْمي شَبَحًا كَثيرَ الضَّوْضاءِ وَلَنْ أُضيفَ شَيْئًا آخَرَ إِلى هٰذِهِ الحَقيقَةِ .

إِلَيْكُمْ بَعْضَ التَّفْصيلاتِ عَنْ حُجْرةِ نَوْمي ، فَلا بُدَّ لَكُمْ أَنْ تُلِمُّوا بِها قَبْلَ أَنْ أَرْوِيَ قِصَّتي . فَفي حُجْرَتي سَريرٌ كَبيرٌ مُزْدَوِجٌ . نَعَمْ ، إِنَّهُ هُوَ

السَّرِيرُ ٱلْمُزْدوجُ ٱلَّذي كُنّا نَنامُ عَلَيْهِ أنا وَجولي . وَيَسْتَنِدُ رَأْسُ السَّرِيرِ إلى ٱلحائِطِ ، وَمِنْ عادَتي أنْ أنامَ عَلى أحَدِ جانِبَي السَّرِيرِ ، الجانِبِ نَفْسِهِ الَّذي كُنْتُ أشْغَلُهُ دائِمًا . وَنوجَدُ بِجانِبِ السَّرِيرِ مِنْضَدَةٌ صَغيرَةٌ عَلَيْها مِصْباحٌ جانِبِيٌّ (أباجورة) . وَبِٱلْقُرْبِ مِنْ أرْضِيَّةِ ٱلْحُجْرَةِ مَقْبِسٌ (بَريزة) لِلإنارَةِ ، وَيَتَّصِلُ بِٱلْمِصْباحِ ٱلجانِبِيِّ سِلْكٌ طَويلٌ يَنْتَهي بِقابِسٍ مُناسِبٍ لِلْمَقْبِسِ .

لاتَسْخَرْ مِنْ ذِكْرِ كُلِّ هٰذِهِ التَّفاصيلِ ، فَهِيَ مُهِمَّةٌ جِدًّا ، وَلَنْ يَمْضِيَ وَقْتٌ طَويلٌ ، حَتّى تَعْرِفَ السَّبَبَ .

في إحْدى لَيالي الشِّتاءِ ٱلْمُظْلِمَةِ كُنْتُ أقْرَأُ في ٱلفِراشِ ، وَلَمْ يَكُنِ ٱلكِتابُ مُمْتِعًا ، فَشَعَرْتُ بِالنُّعاسِ . وَعادَةً ما أُطْفِئُ النُّورَ عِنْدَما أشْعُرُ بِرَغْبَتي في النَّوْمِ (لِلْمِصْباحِ مِفْتاحٌ أبْيَضُ صَغيرٌ) ، إلّا أنَّهُ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ – وَلاأدْري السَّبَبَ – لَمْ أُطْفِئْ ٱلْمِصْباحَ بِالطَّريقَةِ ٱلعادِيَّةِ ، بَلْ مِلْتُ بِجِسْمي عَلى حافَةِ السَّرِيرِ ، وَجَذَبْتُ ٱلقابِسَ مِنَ ٱلْمَقْبِسِ . لِمَ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ؟ ! مازِلْتُ لاأدْري !

لَقَدْ كانَ ما فَعَلْتُهُ شَيْئًا مُضْحِكًا . وَفي اللَّحْظَةِ الَّتي جَذَبْتُ فيها ٱلقابِسَ لَمْ أعُدْ أشْعُرُ بِمَيْلٍ لِلنَّوْمِ ، وَوَجَدْتُ نَفْسي يَقِظًا تَمامًا . وَكانَتِ ٱلْحُجْرَةُ مُظْلِمَةً ، حالِكَةَ الظَّلامِ ، وَمَعَ هٰذا كانَتْ عَيْناي مَفْتوحَتَيْنِ عَلى اتِّساعِهِما .

سَقَطَ كِتابي عَلى أَرْضِيَّةِ ٱلحُجْرةِ ، بَلِ اصْطَدَمَ بِٱلأَرْضِيَّةِ مُحْدِثًا صَوْتًا عالِيًا ، غَيْرَ أَنَّني لَمْ أَنْتَبِهْ لِذٰلِكَ . وَٱنْتَصَبْتُ في جِلْسَتي عَلى السَّريرِ فاتِحًا عَيْنَيَّ ، وَأَسْنَدْتُ ظَهْري إِلى رَأْسِ السَّريرِ ، وَحَمْلَقْتُ في ٱلحُجْرةِ ٱلمُظْلِمةِ ؛ وَبِالطَّبْعِ لَمْ أُرَ شَيْئًا . وَلٰكِنْ في تِلْكَ اللَّحْظةِ كُنْتُ عَلى يَقينٍ مِنْ وُجودِ شَخْصٍ في ٱلحُجْرةِ . لَمْ أَكُنْ أَعرِفُ أَيْنَ بِالتَّحْديدِ ، وَلٰكِنَّ هٰذا ٱلرَّجُلَ .. أَوْهٰذِهِ ٱلمَرْأَةَ أَوْهٰذا الَّذي لاأَعْرِفُ كُنْهَهُ .. كانَ في مَكانٍ مّا أَمامي . مَرَّتْ دَقائِقُ عَديدةٌ ، وَحَمْلَقْتُ في الظَّلامِ ، وَٱنْتَظَرْتُ .. وَلٰكِنّي كُنْتُ لا أَزالُ غَيْرَ قادِرٍ عَلى رُؤْيةِ شَيْءٍ .

لَمْ أَكُنْ خائِفًا ، فالشَّخْصُ الَّذي كانَ بِٱلحُجْرةِ كانَ وَدودًا لِلْغايةِ ، وَقَدْ كُنْتُ سَعيدًا . وَلَمْ أَكُنْ أَسْمَعُ شَيْئًا ، وَلٰكِنْ كانَ الضَّحِكُ يَمْلأُ جَوَّ ٱلحُجْرةِ . وَصِحْتُ : « مَنْ هُناكَ ؟ مَنْ هٰذا ؟ » فَلَمْ أَتَلَقَّ جَوابًا ! وَٱنْتَظَرْتُ طَويلًا .

كانَ الشَّخْصُ الَّذي بِٱلحُجْرةِ صَديقًا ، صَديقًا عَزيزًا ، وَكُنْتُ أَتَلَهَّفُ لِلِقاءِ هٰذا ٱلصَّديقِ . فَلَعَلّي أَراهُ إِذا ما أَضَأْتُ النُّورَ .

دارَتْ في رَأْسي هٰذِهِ ٱلفِكْرةُ ، ثُمَّ تَذَكَّرْتُ أَنَّني لَمْ أَسْتَخْدِمِ ٱلمِفْتاحَ ، بَلْ جَذَبْتُ ٱلقابِسَ وَأَخْرَجْتُهُ مِنَ ٱلمَقْبِسِ .وَعَلى ذٰلِكَ مِلْتُ عَلى حافَةِالسَّريرِ ، وَدَفَعْتُ بِٱلقابِسِ داخِلَ ٱلمَقْبِسِ ؛ فَٱنْتَشَرَ النُّورُ . كانَتِ

ٱلحُجْرةُ خالِيةً ، وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِذٰلِكَ ، وَكُنْتُ عَلى يَقينٍ مِنْ أَنَّ « الشَّخْصَ » قَدْ رَحَلَ .

قُمْتُ بِجَذْبِ ٱلقابِسِ مَرَّةً أُخْرى وَٱنْتَظَرْتُ .. لاشَيْءَ ، مازالَتِ ٱلحُجْرةُ خالِيةً . دَفَعْتُ بِٱلقابِسِ داخِلَ ٱلمَقْبِسِ ؛ فَعَمَرَ النُّورُ ٱلحُجْرةَ مَرَّةً أُخْرى . مامِنْ أَحَدٍ أَيْضًا ! أَطْفَأْتُ النُّورَ (بِٱسْتِخْدامِ ٱلمِفْتاحِ) ؛ وَلَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ أَيْضًا . كُنْتُ وَحيدًا ، رَحَلَ عَنّي صَديقي . بَقِيتُ مُسْتَيْقِظًا لِساعاتٍ عَديدةٍ ، وَبَدَأْتُ أُفَكِّرُ : إِنَّهُ شَبَحٌ كَثيرُ الضَّوْضاءِ حَقًّا .

وَفي الحالِ طَرَأَ عَلى ذِهْني اسْمُ بُولْدي ، وَنادَيْتُ : بُولْدي ! بُولْدي ! غَيْرَ أَنَّ الَّذي أُنادِيهِ لَمْ يَرْجِعْ . في النِّهايةِ اسْتَسْلَمْتُ لِلنَّوْمِ . لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَنَّ شَيْئًا هامًّا قَدْ حَدَثَ لي ، هٰذا الشَّيْءُ هُوَ لِقائي ٱلأَوَّلُ بِالشَّبَحِ الصَّديقِ ، لِقائي مَعَ بُولْدي ، وَكانَتِ ٱلبِدايةَ !

الفصل الثاني

اللُّعبـــة

استيقظتُ من نومي صباحَ اليوم التالي في ساعةٍ متأخرةٍ ، وكانت شمسُ الشتاء الباردةُ تُضيءُ حُجرتي . وجلستُ في الفراش ، وأخذتُ أفكرُ في أحداثِ الليلةِ السابقة : هل يُمكنُ أن تكون هذهِ الأشياءُ حدثتْ بالفعل ؟ أم كانتْ كلُّها حُلمًا ؟ نظرتُ إلى حافة السرير . نعمْ ، الكتابُ مازال في مكانِه على أرضيةِ الحُجرةِ . لقدْ أسقطتُهُ هناك الليلة الماضية . إنتقلتُ ببصري إلى المصباحِ والقابس . القابسُ مازال في مقبسه .. نعمْ ، لقدْ دفعتُهُ بنفسي في المقبس الليلة الماضيةَ . كانتْ كلُّ التفاصيل صحيحةً .

نهضتُ من الفراشِ ببطءٍ ، واغتسلتُ وتناولتُ الإفطار ، ثم توجهتُ إلى حُجرةِ مكتبي (وتذكرتُ أنني كنتُ منهمكًا في كتابة قصةٍ بوليسيةٍ في ذلك الوقت) . وسرعان ما استغرقتُ مغامراتُ فيرن وإيلي يومي بأكملِه ؛ فنسيتُ كلَّ شيءٍ عنْ مغامراتِ الليلةِ الماضيةِ .

إنتهيتُ من عملي في وقتٍ مبكرٍ . وعلى الرغمِ من أنني لمْ أشعرْ بميلٍ للنومِ ، فإنني ذهبتُ إلى الفراش مبكرًا . كانت الساعةُ العاشرة . جلستُ في الفراشِ ، وبدأتُ أفكرُ في أحداث الليلة الماضية . ولمْ تكنْ لي رغبةٌ في القراءة ؛ فجلستُ في هدوءٍ ، وتركتُ نور الحُجرة مُضاءً ،

ثمَّ أطفأتُهُ بحذرٍ (باستخدامِ مفتاحِ المصباحِ) ، وانتظرتُ .. حملقتُ في الحُجرة المُظلمة ، ولكنْ لمْ يحدثْ شيءٌ قطُّ .

كانتِ الحُجرةُ خاليةً ، أو هكذا كانتْ تبدو . وبدا لي الأمرُ سخيفًا ، فأضأتُ النورَ مرَّةً أخرى وتناولتُ كتابًا .. كتابًا عنْ موضوعٍ مُثيرٍ هذهِ المرَّة ، ومضيتُ في القراءةِ لفترةٍ طويلةٍ . وبدأتُ أشعرُ بميلٍ للنومِ ؛ فوضعتُ الكتاب على المنضدة بجوارِ السريرِ ، ثمَّ رأيتُ أنْ أطفئَ النورَ ، إلا أنني لمْ أستخدمِ المفتاحَ لا أدري لماذا - بل لمستُ بجسمي على حافةِ السريرِ وتناولتُ السلكَ ، ثمَّ القابس في نهايته ؛ فجذبتُهُ خارجَ المقبسِ وما إن انتهيتُ من ذلك حتى أدركتُ أنَّ نولدي موجودٌ

لقدْ كانَ الشبحُ الصديقُ في مكانٍ ما بالحُجرةِ ، وناديتُهُ : « نولدي ! » ولكنْ مامنْ إجابةٍ ! حملقتُ في الظلام ، ثمَّ تركتُ الفراش وسرتُ في الحُجرةِ . وكنتُ على يقينٍ أنَّ نولدي في الحُجرةِ .

وفي النهايه رجعتُ إلى الفراشِ ، ومتُّ على جانب السريرِ ، ودفعتُ بالقابس إلى داخل المقبسِ ؛ فعمَّ الضوءُ الحُجرة ، وكان نولدي قدِ اختفى . وعندما أطفأتُ النور مرَّةً أخرى (باستخدام المفتاح) لمْ يعدْ ثانيةً . وقمتُ بإضاءةِ النور وإطفائه عدَّة مرَّاتٍ ؛ إلا أنَّهُ لمْ يحدثْ شيءٌ ؛ فقررتُ أنْ أخلدَ إلى النومِ .

توصلتُ في الليلة التالية إلى اكتشافٍ هامٍّ ، لعلَّهُ أوَّلُ اكتشافٍ هامٍّ

لي ، تلتهُ عدَّةُ اكتشافاتٍ دهشتُ إلى الفراشِ في وقتـــي المُعتاد ، ولمْ أقرأْ شيئًا ، بلْ أطفأتُ النُّور (باستخدام المفتاح) وانتظرتُ بولْدي ، لكنَّهُ لمْ يظهرْ . إلَّا أنَّهُ سرْعان ما ظهر عندما حدثتُ القابس من المقبس . شعَرْتُ بوجوده ، وعندما دفعْتُ بالقابسِ في المقبس اختفى .

هذا هُوَ اكتِشافِي الهامُّ : لايظْهَرُ بولْدي إطْلاقًا عند استِخْدامي لِمِفْتاح المصباح ، بلْ يظهرُ فقطْ عند حذْبي للقابس من المقبس ، وهُو لايظْهرُ إلَّامَرَّةً واحدةً . وعندما أعيدُ القابسَ إلى مكانه في المقبس يختفي بولْدي ولايرْجعْ

قمْتُ بتجربة هذهِ الخُطواتِ في اللَّيْلةِ التَّالية . جذَبْتُ القابسَ من المقبس في اللَّحْظةِ الَّتي تَوَجَّهْتُ فيها للفِراش ، فظَهَرَ بولْدي ، ولَمَّا

أرْجعْتُ القابسَ إلى مكانِه في المقبس ، و انتشر النُّورُ ، اختفى بولْدي وحدثْتُ القابس خارج المقبس مرَّةً أخرى فلمْ يظهرْ بولْدي . قمْتُ بعْد كُلِّ ذلك بدفْع القابس وحذْبه عدَّة مرَّاتٍ ، إلَّا أنَّ شيْئًا لمْ يحْدُثْ إطْلاقًا .

وهكذا أدركْتُ أنَّ بولْدي لا يأْتي إلَّامرَّةً واحدةً فقطْ ، ويكونُ ذلك عِنْدما أخذتُ القابس خارج المقبس ، ويخْتفي لحْظة إعادةِ القابسِ إلى مكانه .

وقدْ طبقْتُ ليالي كثيرةً بعْد هذا مُسْتمْتعًا بصُحْبة بولْدي ، بلْ إنِّي كُنْتُ أحْيانًا أجْلسُ معهُ في الحُجْرةِ المُظْلمة بعْدَما كُنْتُ أسْتمْتعُ بما لدَيَّ مِنْ سُلْطانٍ ونُفوذٍ ، فمِنْ إمْكاني استدْعاؤُهُ إلى الحُجْرةِ أوْ صرْفُهُ منْها باستخْدام قابسِ النُّورِ . إلَّاأنَّني لا أستطيعُ القِيامَ بذلِكَ إلَّا مَرَّةً واحِدةً . وبإمْكاني إبْقاءُ القابسِ مسْحوبًا ساعاتٍ وساعاتٍ فأسْعدُ بصُحْبة بولْدي بالحُجْرةِ . وكثيرًا ماكُنْتُ أُناديهِ ؛ إلَّا أنَّهُ لَمْ يكُنْ يأْتي قطُّ بأيَّةِ إشارةٍ تدُلُّ ، على وُجودِهِ ! كُنْتُ أشْعُرُ فقطْ بوُجودِهِ ، فلَمْ تكُنْ هُناكَ أيَّةُ إشارةٍ أُخرى .

لَمْ أُخبرْ أحدًا قطُّ بأمْرِ بولْدي . كانَ لويس يحْضرُ كُلَّ يوْم أرْبعاء تلْعبُ معًا الشُّطْرنْج ، ومعَ هذا لَمْ أُخبرْهُ قطُّ بسرِّي . وفي أحَدِ أيَّام الأرْبعاءِ فوجئْتُ بلويس يقولُ لي : « تبْدو بصحَّةٍ جيِّدةٍ ياوِلْيم .. تبْدو

دائمًا مُبتسمًا وسعيدًا . ومِنْ دواعي سُروري أنْ أراكَ على هٰذهِ الحالِ . لَعَلَّ في حَياتِكَ سِرًّا . » وَلَمْ يَسَعْني إلاّ أنْ أبتَسِمَ وَأصْمُتَ .

كانَ ماقالهُ لويس صَحيحًا بطبيعةِ الحالِ ، فقَدْ كانَ هُناكَ سِرٌّ في حَياتي ، إلاّ أنّني لَمْ أُخبِرْ لويس عَنْهُ فأنا أُدرِكُ تمامًا أنّهُ أعَزُّ صَديقٍ ، بَلْ صَديقَيّ الوَحيدُ ، وَلٰكِنّني لا أعْتَقِدُ أنَّ في مَقْدورهِ فَهْمَ أشْياءَ أوْ أمورٍ مِنْ هٰذا القَبيلِ .

نَعِمْتُ بِصُحْبةِ نولْدي على هٰذهِ الصُّورةِ لِمُدَّةِ سَنةٍ تَقريبًا ، وَإذا بِشَيْءٍ عَريبٍ يَحْدُثُ في إحْدى اللَّيالي .. كُنْتُ قَدْ حَدَّثْتُ القابسَ خارجَ المَقْبِسِ ، وكانَ نولْدي في الحُجْرةِ ، وَكُنْتُ جالسًا في الفراشِ ، وَنادَيْتُهُ « نولْدي ! » وإذا بِهِ يُعْطيني أوَّلَ إشارةٍ تَدُلُّ على وُجودِهِ : سَمِعْتُ طَرْقةً كانتْ صادرةً مِنَ الجانبِ الآخرِ للحُجْرةِ ، ثُمَّ سَمِعْتُ طَرْقةً أُخرى .. وأُخرى ! كانَ صَوْتُ الطَّرقاتِ يَرْتَفِعُ بالتَّدْريجِ ، وَيَقْتَرِبُ شَيْئًا فَشَيْئًا مِنْ فِراشي ، ثُمَّ تَوَقَّفَتِ الطَّرقاتُ . لَمْ أكُنْ خائفًا ، بَلْ كُنْتُ — في الواقعِ — أضْحكُ ! وعادتِ الطَّرقاتُ تُسْمَعُ مَرَّةً أُخرى ، إلاّ أنَّها كانَتْ في هٰذهِ المَرَّةِ تَتَحَرَّكُ مُبْتَعِدةً عَنْ سَريري إلى الجانبِ الآخرِ للحُجْرةِ . كانتِ الطَّرْقةُ عَريبةً .. كَيْفَ أصِفُها ؟ ! حَسَنًا ، كانَتْ أشْبَهَ بِمَشْيِ شَخْصٍ ذي رِجْلٍ خَشَبيَّةٍ ، كأنَّها وَقْعُ رِجْلٍ خَشَبيَّةٍ على أرْضيَّةِ الحُجْرةِ ، كأنَّها لِشَخْصٍ يَعْرُجُ . عِنْدَما يَسيرُ رَجُلٌ أعْرَجُ ، فإنَّكَ تَسْمَعُ في خُطُوهِ نَقْرًا

مُنْتَظمًا . لَقَدْ غَمَرَتْني السَّعادةُ ، فأخيرًا تَلَقَّيْتُ إشارةً مِنْ نولْدي ، وَأصْبَحَ في اسْتِطاعَتي الآنَ أنْ أشْعُرَ بِوُجودِهِ ، وكَذٰلِكَ أسْمَعَ . وقُلْتُ في نَفْسي إنَّهُ الآنَ يَثِقُ بي ، فأعْطاني لِذٰلِكَ إشارةً تَدُلُّ على وُجودِهِ .

كُنْتُ أعْمَلُ كُلَّ يَوْمٍ بِطَريقَتي المُعْتادةِ ، وَلٰكِنَّ حياتي الآنَ أصْبَحَتْ مُخْتَلِفةً .. فقَدْ أمْسَيْتُ أسْتَمْتِعُ كُلَّ لَيْلةٍ بِصُحْبةِ نولْدي ، وبَدَأتْ ثِقَتُهُ بي تَزْدادُ شَيْئًا فشَيْئًا ، وَبَدأ يُعْطيني إشاراتٍ مُخْتَلِفةً تَدُلُّ على وُجودِهِ : أحْيانًا يَهُزُّ سَريري ؛ فأضْحكُ ؛ فَيَعْمِدُ إلى هَزِّهِ مَرَّةً أُخرى . وأحْيانًا يَهُزُّ كُرْسيًّا في حُجْرتي . نَعَمْ ، كُنْتُ أسْمَعُهُ يَهْتَزُّ . وَأحْيانًا يُلْقي بالأشْياءِ هُنا وَهُناكَ في الحُجْرةِ . صَحيحٌ ، لا أسْتَطيعُ رُؤْيةَ ذٰلِكَ في الظَّلامِ ، وَلٰكِنّني أسْتَطيعُ - بِكُلِّ تأكيدٍ - أنْ أسْمَعَ أصْواتَ هٰذهِ الأشْياءِ . وفي إحْدى المَرّاتِ انْصَفَقَتْ فُرْشاةُ الشَّعْرِ أمامَ وَجْهي تمامًا . وأحْيانًا يَعْمِدُ نولْدي إلى فَتْحِ بابِ حُجْرةِ نَوْمي ، ثُمَّ يُغْلِقُهُ ، وَكانَ يَقومُ بِذٰلِكَ بِسُرْعةٍ كَبيرةٍ عِدَّةَ مَرّاتٍ . وأحْيانًا يَقومُ بِحيلٍ صَغيرةٍ .. فقَدْ وَجَدْتُ - ذاتَ مَرَّةٍ - قَميصي مُلْقًى على الفراشِ ، بَلْ وَفي مَرَّةٍ أُخرى وَجَدْتُ حِذائي على الفراشِ . وكُنْتُ دائمًا أضْحكُ مِنْ هٰذهِ الحيلِ وَالألاعيبِ . وَأعْتَقِدُ أنَّ نولْدي كانَ يُحِبُّ أنْ يَسْمَعَ الضَّحِكَ ، فَعِنْدَما كُنْتُ أضْحكُ كانَ يَدُقُّ على النّافذةِ ، أوْ يَهُزُّ سَريري .

لقدْ حاولتُ - بكُلِّ جهْدي - أنْ أراهُ ، فكُنْتُ أحملقُ في الحُجْرة المُظْلمة ، ولكنّي لمْ أرَ شيْئًا على الإطْلاق ، ومَعَ هذا كُنْتُ أشْعُرُ بِوُجوده ، وكُنْتُ بالتّأكيد أسْمعُهُ . وعنْدما كُنْتُ أستأمُ منْ كُلِّ هذه الألاعيب ، كُنْتُ ألْجأُ إلى دفْعِ القابس مرّةً أخْرى في مكانِهِ منَ المقْبس ؛ فيُضيءُ المصْباحُ ويختفي بُولْدي ، ثُمَّ أُطْفِئُ النُّور وأُخْلدُ للنّوْم .

في إحْدى الليالي توَصّلْتُ إلى اكْتشافي الثّاني الهامّ . كان بُولْدي في حُجْرتي ، وأحد يسيرُ بعرَجٍ نحْوَ سريري ، ثُمَّ يبْتعدُ عنْهُ .. وكرّر ذلك عدّة مرّاتٍ ، كان في أثنائها يهُزُّ سريري وبطُرُقُ بابي . وشعرْتُ بعْد كُلِّ ذلك بميْلٍ شديدٍ للنّوْم ، فقرّرْتُ أنْ أعيد القابس إلى المقْبسِ ؛ فيُضيءُ المصْباحُ ويختفي بُولْدي ، ثُمَّ أُطْفئُ المصْباحَ وأستسْلمُ للنّوْم . وفعْلًا ، ملْتُ بجسْمي على حافةِ السّرير ، وأمْسكْتُ القابس .. وفجْأةً جذب بُولْدي السّدّ ؛ فأفْلتَ القابسُ منْ يدي ، واضْطررْتُ إلى البحث عن القابس - ولمْ يكُنْ هذا بالأمْرِ اليسيرِ - ثُمَّ وضعْتُهُ في المقْبسِ ، ولكنّي خرجْتُ باكْتشافٍ هامٍّ . لمْ يكُنْ بُولْدي يرْعبُ فقطْ في إعْطائي بعْض الأماراتِ عنْ وُجودِه ، ولمْ يكُنْ يرْعبُ فقطْ في أنْ يقوم بعْضِ الألاعيب ، ولكنّهُ كان يرْغبُ في أنْ يُشاركني في لعْبةٍ ما .

تمكّنا معًا - في النّهايةِ - من اخْتراع هذه اللُّعْبة .. لُعْبة القابس والضّوْء !

كانتْ قواعدُ اللُّعْبةِ بسيطةً للغايةِ ، ولكنّها أخذتْ منّا وقْتًا طويلًا حتّى أرْسيْناها ، بلْ يُمْكنُني القوْلُ إنّ هذهِ القواعدَ تمّ التّوصّلُ إليْها شيْئًا فشيْئًا ، وكانتْ على النّحْوِ التّالي :

القاعدةُ الأولى : توَجّهْتُ إلى الفراشِ والنّورُ مازالَ مُضاءً .

القاعدةُ الثّانيةُ : حدثْتُ القابس منْ مقْبسه وطهر بُولْدي ، ولمْ أشْعُرْ فقطْ بوُجوده فقدْ كان دائمًا يُعْطيني إشارةً واضحةً وإنّما كُنْتُ أسْمعُ وقْعَ خطُواتِهِ في الجانبِ الآخرِ للْحُجْرةِ .

القاعدةُ الثّالثةُ : كان بُولْدي بعْدَ ذلكَ يسيرُ بعَرَجٍ نحْوَ سريري ، وكان عليّ أنْ أعيد القابس إلى المقْبس قبْلَ أنْ يصلَ إلى السّرير ، وكانَ على بُولْدي أنْ يصل إلى سريري قبْل أنْ أتمكّنَ منْ إعادةِ القابس إلى موْضعِهِ .

كانتْ هذه هي اللُّعْبة ، فإذا ماتمكّن بُولْدي من الوُصولِ إلى سريري قبْل أنْ أضع القابسَ في المقْبس ، كان هُو الفائز ، فيهُزُّ سريري وتبْدأُ اللُّعْبةُ منْ جديد . أمّا إذا تمكّنْتُ منْ وضْع القابس أوّلًا ، كُنْتُ أنا الفائز في هذه المُباراةِ ؛ فتخْتفي بُولْدي مع إناره المِصْباح ولا يعودُ مرّةً أخْرى .

كُنّا نلعبُ هٰذه اللُّعبة كُلَّ ليْلةٍ ولفترةٍ طويلةٍ استمرَّتْ ستّين تقريبا .. كان وُلْدي عادةً مايفوزُ عدَّةَ مرّاتٍ كُلَّ لَيْلةٍ . وكُنْتُ أستمتعُ في الضّحكِ عِنْدما تنهمكُ في اللّعبِ . لقدْ كانتْ لُعْبةً مُمْتعةً جِدًّا . وفجْأةً .. إذا بأمْرٍ يَحْدُثُ فَيُبْعِدُ بالنُّعْبة عنْ سبيلها المُعْتاد . ولا أدْري مادا حدث ولا كيْف حَدث ، وَلٰكِنّي عَلى يقيٍ منْ أنّ شَيْئًا ما أفْسَدَ اللُّعْبة .

الفَصْلُ الثّالِثُ

مُباراةٌ في الشَّطْرَنْج

نَبَّهَني لِويس بِقَوْله : « إنَّهُ دَوْرُكَ الآنَ في اللَّعِب . »

أجَبْتُهُ مُنْدَهشًا : « دوْري ؟ لقدْ حرّكْتُ قطْعتي مُنْذُ لحْظةٍ . »

قال لويس مُشيرًا إلى الرُّقْعة : « لمْ تفْعلْ ، بلْ أنا الّذي انْتهيْتُ حالًا منْ تحْريكِ قِطْعَتي . إنَّهُ الآنَ دَوْرُكَ . »

قُلْتُ بِحِدَّةٍ : « لاتكُنْ سَخيفًا ياِلويس ، إنّني أعْرِفُ تَمامَ المَعْرِفةِ ما إذا كُنْتُ قَدْ حَرّكْتُ أمْ لَمْ أحَرّكْ قِطْعَتي . »

قال لويس مُكرّرًا : « حسنًا ، إنّك لمْ تُحرّكْ قطْعتك ، وهُو دوْرُك الآنَ ، ألاحِظُ أنّكَ لاتُتابعُ اللُّعْبةَ ياوِلْيم . »

صِحْتُ فجْأةً : « اللُّعْبةُ ؟ أيَّةُ لُعْبةٍ ؟ منْ أخْبرك عنِ اللُّعْبةِ ؟ مادا تعْرِفُ عنِ اللُّعْبةِ ؟ إنّني لمْ أخْبِرْ أحدًا قطُّ عنِ اللُّعْبة ، فهي سِرّي الخاصُّ ، هلْ تعي ما أقولُ ؟ إنّها سِرٌّ أحْتفظُ به لِنَفْسي ... بلْ أحْتفظُ أنا وَبُولْدي به .. فحَسْبُ .. » كُنْتُ أصيحُ ، وكُنْتُ أسْمعُ صوْتي .. وتوقّفْتُ فجْأةً . وكانَ لويس يَنْظُرُ إليَّ بطريقةٍ غريبةٍ .

« هلْ هُناك مايودُّ أنْ تُخْبِرني بِه ياوِلْيم ؟ »

« مـــاذا ؟ »

« هَلْ تُريدُ أَنْ تُخْبِرَني شَـيْءٍ ؟ لا بُدَّ أَنَّكَ تُفكِّرُ في أَمْرٍ ما . »

قُلْتُ . « لا أُفكِّرُ في أَيِّ شَـيْءٍ . » كانَ لا بُدَّ لي مِنْ أَنْ أَضْبِطَ نَفْسي ، وَنَظَرْتُ في عَيْنَـيْ لويس قائِلًا : « أَنْتَ على صَوابٍ ، هُناكَ شَـيْءٌ يَشْغَلُ فِكْري إِنَّها قِصَّةُ فيلْبِرت وايْلي الْجَديدةُ ، فَهِيَ تَشْغَلُ تَفْكيري كُلَّ الْوَقْت ، وَهِـيَ قِصَّةٌ تَدورُ حَوْلَ لُعْبَةٍ ، وَيَسْتَغْرِقُ تَفْكيري بِهٰذِهِ اللُّعْبَةِ دائِمًا .. آسِفٌ عَمَّا بَدَرَ مِنِّي مُنْذُ لَحْظَةٍ . »

قالَ لويس مُهَدِّئًا مِنْ رَوْعي : « لا بُدَّ أَنَّ قِصَّتَكَ مُشَوِّقَةٌ لِلْغايَةِ ، وَلٰكِنَّنا الآنَ نَلْعَبُ الشَّطْرَنْجَ ! »

قُلْتُ : « نَعَمْ ، لا بُدَّ أَنْ أَضْبِطَ نَفْسي . »

سَأَلَني لِويس : « مَنْ .. مَنْ بُولْدي هٰذا ؟ »

قُلْتُ صائِحًا : « بُولْدي ؟ ماذا تَعْرِفُ عَنْ بُولْدي ؟ مَنْ أَخْبَرَكَ عَنْ بُولْدي ؟ »

كانَ صَوْتِـيَ الْغاضِبُ يَرِنُّ في أُذُنَيَّ ، وَكُنْتُ أَصيحُ ، وَمَرَّةً أُخْرى تَوَقَّفْتُ فَجْأَةً قائِلًا : « إِنَّني لَآسِفٌ . »

قالَ لويس : « أَخْبَرَتْني أَنْتَ عَنْ بُولْدي يا وِلْيَم ، فَمُنْذُ لَحْظَةٍ وَحْدِهِ كُنْتَ تَقولُ : أَنا وَبُولْدي فَقَطْ .. نَحْنُ . . . »

سَأَلْتُ : « هَلْ قُلْتُ ذٰلِكَ حَقًّا ؟ »

قالَ لِويس : « نَعَمْ ، إِنَّني أَعْرِفُكَ جَيِّدًا يا وِلْيَم ، فَلَيْسَ لَكَ كَثيرٌ مِنَ الْأَصْدِقاءِ ، هَلْ بُولْدي هٰذا صَديقٌ جَديدٌ ؟ إِنَّ بُولْدي لَيْسَ بِالْاسْمِ الشّائِعِ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

قُلْتُ : « بَلَى ، إِنَّهُ اسْمٌ غَيْرُ مَأْلوفٍ ، سَأُخْبِرُكَ عَنْ بُولْدي إِذا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ كُلَّ شَـيْءٍ عَنْهُ . إِنَّ بُولْدي مُجَرَّدُ شَخْصِيَّةٍ في قِصَّتي الْجَديدةِ عَنْ فيلْبِرت وايْلي . »

« أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الشَّخْصِيّاتِ هُوَ ؟ »

« لا أَعْلَمُ ، فَهُوَ شَخْصِيَّةٌ لَعوبٌ ، يَقومُ بِجَميعِ أَنْواعِ الْأَلاعيبِ . »

« أعني ، أهو شخصيةٌ حيّرةٌ أم شرّيرةٌ ؟ »

« لا ،لا . إنّهُ شخصيةٌ حيّرةٌ بالطّبع ، فهوَ شخصٌ لطيفٌ .. لطيفٌ جدًّا ،شخصٌ طيّبٌ ومُضحكٌ ، وأنا أحبّهُ كثيرًا . ولكنْ .. ولكنْ .. »

« لكنْ ماذا ؟ »

« حسنًا ، أعتقدُ أنّهُ شرّيرٌ أحيانًا ، بلْ إنّ شخصيةَ بولدي ليستْ واضحةً في خيالي تمامًا ، فأحيانًا أراهُ شرّيرًا .. بلْ شرّيرًا جدًّا . »

« شرّيرٌ ؟ ولكنّكَ قلتَ . إنّهُ مُضحكٌ وطيّبٌ ويُحبُّ اللّعبَ »

قلتُ : « هذهِ نُقطةٌ حديرةٌ بالمُناقشةِ . أخبرني يا لويس .. هلْ يُمكنُ للمرءِ أنْ يكونَ شرّيرًا ومُضحكًا وطيّبًا ولعوبًا في نفسِ الوقتِ ؟ ما رأيُكَ ؟ »

قالَ لويس : « لمْ أفكّرْ في هذا الأمرِ قطُّ . »

قلتُ : « سأحكي لكَ عنْ بولدي بقدرِ ما أستطيعُ . إنّ بولدي .. »

وفجأةً سمعتُ طرقاتٍ آتيةً منَ الطّابقِ العلويِّ ، وكنتُ أنا ولويس نجلسُ في حُجرةِ المعيشةِ الّتي كانتْ تقعُ أسفلَ حُجرةِ نومي مُباشرةً ، وكانتِ الطّرقاتُ آتيةً منْ حُجرةِ نومي .

سألَ لويس : « ما الأمرُ يا وليم ؟ وجهُكَ شاحبٌ ، كنتَ تحكي لي عنْ بولدي . أرجوكَ أكملْ حديثَكَ . »

سألتُ : « هلْ سمعتَ طرقًا يا لويس ؟ طرقًا مثلَ هذا ؟ » ، التقطتُ إحدى قطعِ الشّطرنجِ ، وبدأتُ أنقرُ بها على الطّاولةِ ، نقرًا مثلَ وقعِ رجلٍ خشبيّةٍ على أرضيّةِ الحُجرةِ ، مثلَ وقعِ رجلِ يعرجُ .

قالَ لويس : « لا ، بالطّبعِ لمْ أسمعْ أيَّ شيءٍ . »

« لكنّهُ جاءَ منَ الطّابقِ العلويِّ . »

« لا ، إنّ الهدوءَ يسودُ المكانَ هنا . »

« إذًا ، لا بدَّ أنّ الصّوتَ في خيالي أنا . »

أجابَ لويس : « نعمْ ، إنّهُ منِ اختلاقِ خيالِكَ ، فأنتَ كاتبٌ يا وليم ، وتعيشُ حياتَكَ في دُنيا الخيالِ . ولكنِ انتبهْ لنفسِكَ ، فالخيالُ قدْ يكونُ شديدَ الخطرِ ! »

« كيفَ يكونُ شديدَ الخطرِ ؟ . »

« حسنًا ، قدْ يُسيطرُ الخيالُ على حياتِكَ ، فأنتَ تُغرقُ نفسَكَ في العملِ ، ولا تخرجُ كثيرًا ، وتعيشُ حياةً كئيبةً .. إنّكَ تحبسُ نفسَكَ في حُجرةِ مكتبِكَ طوالَ اليومِ ، وتعيشُ وحيدًا في هذا المنزلِ الكبيرِ ، وعندما يأتي اللّيلُ تستسلمُ للنّومِ حتّى اليومِ التّالي ؛ فتسعى إلى حُجرةِ مكتبِكَ مرّةً أخرى . أنتَ في حاجةٍ إلى الأصدقاءِ ، أنتَ في حاجةٍ إلى الهواءِ والطّبيعةِ والشّمسِ . إنّكَ لا تعيشُ حياةَ شخصٍ عاديٍّ ، بلْ تعيشُ

مِنْ خِلالِ مايُمْليه عَلَيْك خَيالُك ، وَهُنا يَكْمُنُ الخَطَرُ . فَشَطَحاتُ الخَيال قَدْ تُسَيْطِرُ عَلى حَياتِك . اُنْظُرْ إلى حَديثِك عَنْ بُولْدي .. إنَّكَ تَتَصَوَّرُهُ شَخْصًا حَقيقِيًّا ، بِالرَّغْمِ مِنْ كَوْنِهِ مُجَرَّد شَخْصِيَّةٍ في إحْدى قِصَصِك ، تَمامًا مِثْلَ فيلْتْرت وايْلي .. شَخْصِيَّةٌ لَيْس لَها وُجودٌ في الواقِع . »

« كَلّا ، إنَّهُ مَوْجودٌ بِالفِعْلِ . »

« صَحيحٌ ، وَلٰكِنْ في خَيالِك فقطْ . »

« بَلْ هُوَ مَوْجودٌ فِعْلًا ، وَهُو حقيقةٌ لاتَسْتَطيعُ انْكارَها ، لَقَدْ كانَ هامْلِت إحْدى شَخْصِيّاتِ شيكْسبير ، وَمَعَ ذٰلِكَ لَهُ وُجودٌ فِعْلِـيٌّ ، لَهُ كِيانٌ حَقيقِيّ . كانَتِ المَلِكَةُ إليزابيث مَوْجودةً .. عاشَتْ وَحَكَمَتْ إنْجِلْتِرا ، لٰكِنَّها لَمْ تَكُنْ أكْثَرَ واقِعِيَّةً مِنْ هامْلِت . ألا تَعْتَقِدُ أنَّ هامْلِت شَخْصٌ حَقيقِـيٌّ مَثَلُهُ في ذٰلِكَ مَثَلُ المَلِكَةِ إليزابيث ؟ أعْني أنَّ كُلًّا مِنْهُما شَخْصِيَّةٌ لَها كِيانٌ فِعْلِيٌّ في عُقولِنا . »

قالَ لِويس : « هٰذِهِ قَضِيَّةٌ فَلْسَفِيَّةٌ مُثيرةٌ لِلتَّفْكيرِ فِعْلًا ، فَالأشْياءُ قَدْ تَوجَدُ في العَقْلِ أوْ في واقِعِ الحَياة ؛ وَعَلى ذٰلِكَ تَبْدو شَخْصِيَّةُ بُولْدي هٰذا واقِعًا وَحَقيقةً بِالنِّسْبَةِ لَكَ ، تَمامًا كَما أنَّني واقِعٌ مَلْموسٌ لَكَ ، أليْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

قُلْتُ : « بَلى ، هٰذا صَحيحٌ . »

لِويس . « كُنْتُ أعْرِفُ دائِمًا أنَّكَ فيلسوفٌ يا وِلْيم ، وَالآن فَلْنَسْتَأنِفْ لُعْبَةَ الشَّطْرَنْج ، إنَّهُ دَوْرُكَ الآنَ . »

« دَوْري ؟ لَقَدْ حَرَّكْتُ قِطْعَتي حالًا . »

« لاداعِيَ لِأنْ تُعيدَ الجِدالَ مِنْ جَديدٍ . إسْمَعْ .. فَلْتُراجِعْ جَميعَ الحَرَكاتِ مِنَ البِدايَة . إنَّني ألْعَبُ بِالقِطَعِ البَيْضاء ، وَأنْتَ بِالسَّوْداء ، أليْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

« بَلى ، هٰذا صَحيحٌ . » وَبَدَأ لِويس يَعودُ بِالذّاكِرَةِ إلى مالَعِبْناهُ مِنْ أدْوارٍ ، حَرَكَةً حَرَكَةً .

قالَ لِويس : « لَقَدْ قامَ كُلٌّ مِنّا بِاللَّعِبِ أرْبَعَ عَشْرَةَ نَقْلَة ، وَأنا ألْعَبُ بِالقِطَعِ البَيْضاء لِذا قُمْتُ بِالنَّقْلَةِ الأولى ، وَقَدْ حَرَّكْتُ قِطْعَتي الآن ، هٰذِهِ هِيَ نَقْلَتي الخامِسَةَ عَشْرَة ، وَهٰذا دَوْرُكَ الآن . »

نَظَرْتُ إلى رُقْعَةِ الشَّطْرَنْجِ مُفَكِّرًا لِفَتْرَةٍ طَويلَة ، وَقُلْتُ : « أنْتَ عَلى حَقّ فَلَمْ أكُنْ أتابِعُ المُباراةَ . »

أجابَ لِويس : « أجَلْ ، وَقَدْ أخْبَرْتُكَ بِذٰلِكَ ، فَذِهْنُكَ مَشْغولٌ بِأُمورٍ أُخْرى . »

« حَسَنًا ، إنَّني أنْظُرُ إلى اللُّعْبَةِ الآن ، وَأعْتَقِدُ أنَّني مَلَلْتُها . لَقَدْ حَدَثَ

شَيْءٌ ما أَفْسَدَها . »

قالَ لِويس : « لَيْسَ بِالنِّسْبَةِ لي ، وَ لٰكِنْ بِالنِّسْبَةِ لَكَ . »

أَجَبْتُ : « نَعَمْ ، حَدَثَ خَطَأٌ ما ، خَطَأٌ جَسيمٌ وَلا يُمْكِنُني عَمَلُ شَيْءٍ حِيالَهُ . » ثُمَّ قُمْتُ بِتَحْريكِ ٱلمَلِك .

قامَ لِويس في ٱلحالِ بِتَحْريكِ « وَزيرِهِ » . رَفَعَ يَدَه قِطْعَةَ الشَّطْرَنْجِ ٱلخَشَبِيَّةَ ٱلمَكْسورَةَ ، ثُمَّ نَزَلَ بِها بِشِدَّةٍ عَلى رُقْعَةِ الشَّطْرَنْجِ ، فاصْطَدَمَتْ بِسَطْحِ الرُّقْعَةِ مُحْدِثَةً صَوْتًا عالِيًا ، ثُمَّ هَتَفَ : « ماتَ ٱلمَلِكُ ، أَخْشى أَنْ تَكونَ قَدْ خَسِرْتَ ٱلمُباراةَ . »

نَظَرْتُ إِلى قِطْعَةِ الشَّطْرَنْجِ ، وَقُلْتُ : « أَنْتَ عَلى حَقٍّ .. ماتَ ٱلمَلِكُ ، وَلَيْسَ مِنْ سَبيلٍ لِإِنْقاذِهِ ! ماتَ ٱلمَلِكُ . »

قالَ لويس : « لَمْ تَلْعَبْ جَيِّدًا ٱليَوْمَ .. لَمْ تَلْعَبْ مُباراتَكَ ٱلمُعْتادَةَ . »

أَجَبْتُ : « نَعَمْ ، إِنَّني أَعْرِفُ ذٰلِكَ . »

سَأَلَ لِويس : « هَلْ تَعْلَمُ لِماذا ؟ »

« كَلّا ، لِماذا ؟ أَخْبِرْني ! »

« لَمْ تَكُنْ مُرَكِّزًا عَلى ٱلمُباراة ، بَلْ كانَ ذِهْنُكَ مَشْغولًا بِتِلْكَ

شَخْصِيَّةِ نُولْدي ! . إِنَّني لَمْ أُهْزِمْكَ ، لَقَدْ هَزَمَكَ نُولْدي . »

« كَيْفَ ذٰلِكَ ؟ »

« لِأَنَّهُ يُسَيْطِرُ عَلى تَفْكيرِكَ . إِنَّ لِلْفَلاسِفَةِ وَٱلكُتّابِ حَقًّا في ٱلحَياةِ أَيْضًا . وَلا يَسْعى لَهُمْ أَنْ يَسْمَحوا لِلْأَفْكارِ بِالسَّيْطَرَةِ عَلى حَياتِهِمْ . »

قُلْتُ : « أَنْتَ عَلى حَقٍّ يا لِويس . »

نظر لويس إلى ساعتِهِ قائلًا : « السّاعةُ الثّانية عشْرة إلّا عَشْر دقائِق تأخّرنا الوقْتُ ، ولا بُدَّ أَنْ أَذْهَبَ ٱلآن . » ثُمَّ وقف قائلًا : « شُكْرًا على ٱلمُباراة يا وِلْيم . تُصْبِحُ على خيْرٍ ، وإلى ٱلأُسْبوعِ ٱلمُقْبِلِ . »

قُلْتُ : « شُكْرًا يا لويس ، وتُصْبِحُ على خيْرٍ . » ثُمَّ نهضْتُ واقفًا ، وفَجْأَةً أَطَحْتُ بِرُقْعَةِ الشَّطْرَنْجِ ؛ فَسَقَطَتْ عَلى ٱلأَرْضِيَّةِ ؛ وتَعْثَرَتْ ٱلقِطَعُ في أَرْجاءِ ٱلحُجْرَة .

قالَ لِويس ضاحِكًا : « لَقَدْ خَسِرْتَ ٱلمُباراةَ ٱلآنَ بِالفِعْلِ . »

الفصل الرابع

حدث خطأ ما في اللعبة

مرّ على مباراة الشطرنج التي وصفتها حالاً نحو خمسة أعوام ، ومنذ ذلك الحين - بطبيعة الحال - كنت ألعب الشطرنج مع لويس مرة كل أسبوع . وهناك مباراة معه غدا ، ولكني وصفت مباراة الشطرنج تلك لأني أتذكرها بالتفصيل . في ذلك الوقت كانت لعبتي مع بولدي قد بدأت تمر بمرحلة صعبة ، ولم يحدث ذلك بشكل مفاجئ ، بل كان التحول تدريجيا وبطيئا جدا ، حتى إني في الواقع لم ألحظ التغيير أو الأمر

لم يتحدث لويس معي مرة أخرى عن بولدي ، وبالطبع لم أتحدث أنا كذلك عنه . لقد أخبرت لويس أن بولدي كان إحدى الشخصيات في قصتي البوليسية ؛ وصدق ما قلت . ولم يكن في استطاعتي أن أخبره أن بولدي موجود فعلا ، وأنه ليس شخصية نعيش فقط في خيالي ، ولكنه يعيش في دنيا الواقع ، يعيش في حجرتي ، بل إني أحيانا لا أعتبرها حجرتي الخاصة بي وحدي ، بل حجرة بولدي أيضا .

لقد أوشكت أن أفقد القدرة على ضبط النفس تلك الليلة مع لويس ، فقد تحدثت عن بولدي ، وكان من الخطأ أني فعلت ذلك ، فأنا لم

أكن أدري أن بولدي قد سمعني وأن وقع خطاه في الطابق العلوي كان كتحذير لي ولم يسمع لويس التحذير بطبيعة الحال ، فقد كان موجها لي ، وكأن بولدي يقول : « اصمت ياوليم ! لا تفضح سرنا . » ولهذا أصبحت حريصا منذ ذلك الحين ، أتجنب الحديث بأي شكل عن عملي ، خشية أن يبادرني لويس بأسئلة عن بولدي .

لقد ذكرت من قبل أن الأمور بدأت تسوء ، وأن ذلك حدث بالتدريج ، ولاحظت ذلك - لأول مرة - قبل مباراتي مع لويس بشهرين تقريبا .. ففي إحدى الليالي كنت وبولدي نلعب لعبتنا المعتادة ، وكنت قد جذبت القابس من المقبس ؛ فغرفة الحجرة في ظلام دامس . إنني دائما أشعر بوجود بولدي ، ثم يقوم بعد ذلك بإعطائي إشارة تدل على وجوده . أحيانا تكون هذه الإشارة في صورة طرقات على أرضية الحجرة ، وأحيانا نقرات على النافذة ، وأحيانا أخرى بهز سريري . غير أنه في هذه الليلة لم يعطني أية إشارة ، وكنت قد شعرت بوجوده عندما انطفأ النور . كان هذا كل شيء ، وجلست في الفراش وناديته : « بولدي .. أعلم أنك هنا ، وأنا على استعداد للعب ، هل أنت جاهز ؟ »

لم يحدث شيء ! فعادرت الفراش ، ومشيت في أنحاء الحجرة . مشيت بمنتهى الهدوء على الأرضية الخشبية ، وكانت خطواتي خفيفة جدا ، ومع ذلك كنت أسمع وقعها .

كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ بُولْدي يَتْبَعُني وَأَنا أَمْشي في أَنْحاءِ ٱلْحُجْرَةِ . وَتَوَقَّفْتُ عَنِ ٱلْمَشْيِ فَجْأَةً وَٱسْتَدَرْتُ ؛ وَبِالطَّبْعِ لَمْ أَرَ شَيْئًا . وَمَشَيْتُ في ٱلْحُجْرَةِ ذَهابًا وَإِيابًا عِدَّةَ مَرَّاتٍ (مِنْ أَحَدِ أَطْرافِها إِلى ٱلطَّرَفِ ٱلآخَرِ) ، وَكُنْتُ أَتَوَقَّفُ فَجْأَةً ، وَكانَ بُولْدي يَتْبَعُني . وَقَفْتُ ساكِنًا وَأَصْغَيْتُ ؛ فَسَمِعْتُ وَقْعًا خَفيفًا عَلى أَرْضِيَّةِ ٱلْحُجْرَةِ ، وَكانَ الصَّوْتُ خَلْفي تَمامًا ، وَكانَ يَرْتَفِعُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَٱسْتَدَرْتُ خَلْفي ؛ فَٱخْتَفى الصَّوْتُ .

قُلْتُ غاضِبًا : « ماهٰذا ٱلَّذي تَفْعَلُهُ يابُولْدي ؟ ! .. أَنْتَ لاتَلْعَبُ .. أَتُشارِكُني اللَّعِبَ أَمْ لا ؟ حَسَنًا ، سَأُعاقِبُكَ ، وَأَرْجِعُ إِلى ٱلْفِراشِ .. سَأَضَعُ ٱلْقابِسَ في ٱلْمَقْبِسِ وَأُصْرِفُكَ .. سَأُعاقِبُكَ . » قَفَزْتُ إِلى ٱلْفِراشِ ، ثُمَّ قُلْتُ : « سَأُعْطيكَ فُرْصَةً واحِدَةً أُخْرى ، أَتَرْغَبُ في اللَّعِبِ أَمْ لا ؟ » مَرَّةً أُخْرى لَمْ يَحْدُثْ أَيُّ شَيْءٍ .

قُلْتُ : « سَأَبْدَأُ ٱلْعَدَّ حَتَّى ٱلثَّلاثَةِ . » وَبَدَأْتُ ٱلْعَدَّ بِبُطْءٍ : « واحِدٌ ، اِثْنانِ ، ثَلاثَةٌ . » مِلْتُ بِجِسْمي عَلى جانِبِ السَّريرِ ، وَتَلَمَّسْتُ ٱلأَرْضِيَّةَ بِيَدي حَتَّى أَمْسَكْتُ بِالسِّلْكِ ، وَلٰكِنْ .. بَدَأَ السِّلْكُ يَنْزَلِقُ مِنْ يَدي ؛ فَأَمْسَكْتُهُ بِقُوَّةٍ وَجَذَبْتُهُ ، غَيْرَ أَنَّ بُولْدي كانَ يَجْذِبُ في ٱلاِتِّجاهِ ٱلْمُضادِّ . وَكُنْتُ أَجْذِبُ بِيَدٍ وَأُحاوِلُ تَلَمُّسَ ٱلْقابِسِ بِالْيَدِ ٱلأُخْرى حَتَّى ٱلْتَقى جِسْمي ، وَكادَ يَسْتَقِرُّ عَلى ٱلأَرْضِيَّةِ . وَأَخيرًا ، وَجَدْتُ ٱلْقابِسَ ، وَأَدْخَلْتُهُ في ٱلْمَقْبِسِ ؛ فَأَضاءَ ٱلْمِصْباحُ ، وَٱخْتَفى بُولْدي .

أَطْفَأْتُ النُّورَ بِاسْتِخْدامِ ٱلْمِفْتاحِ ، وَلٰكِنَّني بَقيتُ مُسْتَيْقِظًا لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ ، وَكانَ قَلْبي يَدُقُّ بِشِدَّةٍ . إِنَّهُ لَشَيْءٌ مُضْحِكٌ فِعْلًا ، لِمَ لا يَلْعَبُ بُولْدي مَعي ؟ ! إِنَّهُ أَشْبَهُ بِصَبِيٍّ صَغيرٍ . رُبَّما يَرْغَبُ في تَغْييرِ قَواعِدِ اللُّعْبَةِ ، أَوْ في ٱلْقِيامِ بِبَعْضِ ٱلْحِيَلِ ، وَلٰكِنَّني كُنْتُ أَعْرِفُ تَمامًا أَنَّ بُولْدي لَمْ يَكُنْ يَقومُ بِأَيَّةِ حِيَلٍ .

وَهٰكَذا تَوَصَّلْتُ إِلى ٱكْتِشافَيَ ٱلثَّالِثِ ٱلْهامِّ . لَقَدْ حَدَثَ خَطَأٌ ما في لُعْبَتِنا ، وَلَنْ تَكونَ كَما كانَتْ سابِقًا .

في اللَّيْلَةِ التّالِيَةِ شَعَرْتُ بِالْخَوْفِ ، وَلَمْ أَكُنْ أَشْعُرُ قَطُّ بِالْخَوْفِ مِنْ قَبْلُ في لَعِبي مَعَ بُولْدي . وَلَمْ أَسْتَطِعْ جَذْبَ ٱلْقابِسِ مِنْ مَقْبِسِهِ ؛ فَرَقَدْتُ في ٱلْفِراشِ لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ وَالنُّورُ مُضاءٌ ، وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِالْخَوْفِ فِعْلًا . وَأَخيرًا اسْتَجْمَعْتُ قُوايَ ؛ وَجَذَبْتُ ٱلْقابِسَ مِنَ ٱلْمَقْبِسِ ، وَأَنا أُحَدِّثُ نَفْسي : « ماذا يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ ؟ »

لَمْ يَقُمْ بُولْدي بِأَيَّةِ حيلَةٍ ، وَكُنْتُ سَعيدًا بِذٰلِكَ ، بَلْ لَعِبْنا لُعْبَتَنا الطَّريفَةَ ٱلْمُعْتادَةَ ، وَاسْتَمْتَعْتُ بِها كَما اسْتَمْتَعَ بِها بُولْدي .

كانَتِ اللَّيْلَةُ السّابِقَةُ لِمُباراتي في الشَّطْرَنْجِ مَعَ لِويس لَيْلَةً عَصيبَةً وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتي وَصَفْتُها فيما سَبَقَ – كانَ ٱلْقَمَرُ بَدْرًا في تِلْكَ اللَّيْلَةِ ؛ وَلِهٰذا لَمْ أُغْلِقِ السَّتائِرَ ، وَلَمْ أَكُنْ أَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْ قَبْلُ . وَكانَ الضَّوْءُ يَغْمُرُ

ٱلْحُجْرة ، وَكانَ ٱلمِصْباحُ مُضاءً عِنْدَما تَوَجَّهْتُ لِلْفِراشِ . وَبَعْدَ فترةٍ قصيرةٍ فَصَلْتُ ٱلقابِسَ مِنَ ٱلمَقْبِسِ ، وَكُنْتُ مُسْتَعِدًّا لِبَدْءِ ٱلمُباراةِ ، غَيْرَ أَنَّ شَيْئًا لَمْ يَحْدُثْ ؛ فَلَمْ يُعْطِ بُولْدي أَيَّةَ إشارةٍ ، وَلٰكِنَّهُ كانَ مَوْجودًا في ٱلحُجْرةِ بِالطَّبْعِ .

جَلَسْتُ في ٱلفِراشِ وَانْتَظَرْتُ ، وَكُنْتُ أَرى ٱلبَدْرَ مِنْ نافِذةِ حُجْرَتي ، وَكانَتْ هُناكَ بَعْضُ الظِّلالِ الدّاكِنةِ عَلى ٱلأَرْضِيَّةِ ، كَما كانَتْ هُناكَ ظِلالٌ عَلى ٱلحَوائِطِ . وَتَرامى إلى أُذُني مُواءُ قِطَّةٍ آتٍ مِنَ ٱلحارِجِ ، وَبَدا لي كأَنَّها تَبْكي مِثْلَ طِفْلةٍ صَغيرةٍ ، وَأَنا أَمْقُتُ هٰذا الصَّوْتَ . نَهَضْتُ وَفَتَحْتُ

ٱلنّافِذةَ ، وَصِحْتُ : « هِش ! هِش ! » ، وَتَوَقَّفَتِ ٱلقِطَّةُ عَنِ ٱلمُواءِ ، غَيْرَ أَنَّها عادَتْ فاسْتَأْنَفَتْهُ ؛ فَصِحْتُ ثانِيةً : « هِش ! » ، وَفي هٰذِهِ ٱلمَرَّةِ رَأَيْتُ ٱلقِطَّةَ . كانَتْ قِطَّةً سَمينةً سَوْداءَ جَرَتْ عَبْرَ ٱلحديقةِ ؛ فَارْتَحْتُ ، وَرَجَعْتُ إلى ٱلفِراشِ ، وَسَأَلْتُ : « أَلْعَبُ أَمْ لا ؟ » كُنْتُ أَرى ٱلحُجْرةَ بِأَكْمِلِها بِوُضوحٍ .. أَرى ٱلكُرْسِيَّ وَقَدْ وَضَعْتُ عَلَيْهِ مَلابِسي ، وَأَرى جِرانَةَ ٱلمَلابِسِ ٱلكَبيرةَ في رُكْنِ ٱلحُجْرةِ . وَنَظَرْتُ إلى جِرانةِ ٱلمَلابِسِ لِفَتْرةٍ طَويلةٍ ، وَفَجْأَةً بَدَأَ بابُ ٱلجِرانةِ يَنْفَتِحُ بِهُدوءٍ . اِنْفَتَحَ قَليلًا في أَوَّلِ ٱلأَمْرِ ، ثُمَّ اتَّسَعَتِ ٱلفُرْجةُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، حَتّى انْفَتَحَ ٱلبابُ عَلى مِصْراعَيْهِ .

إنّي أحتفظُ بملابسي في الخزانةِ ، ولَمْ يكُنْ لَدَيَّ الكثيرُ مِنَ الملابسِ لِعدَمِ حاجَتي إليها .. لَمْ يكُنْ لي غيرُ عَدَدٍ قليلٍ مِنَ القُمْصانِ وبَنْطلونَيْنِ ، وحُلَّتَيْنِ ، ومِعْطَفٍ قديمٍ .

كانَ بابُ الخزانةِ مفتوحًا على اتّساعِهِ ، ولِذلِكَ كانَ في استِطاعتي أنْ أرى ما بِداخِلِها . رأيتُ قُمْصاني وحُلَّتَيَّ والمِعْطَفَ القديمَ . وإذا بِمِعْطَفي يبدأُ في الحَرَكةِ ، ويَخْطو خارِجَ خِزانةِ الملابسِ ، ويَتوقَّفُ أمامَ بابِ الخزانةِ . قُلْتُ بِبُطْءٍ : « بُولْدي ! »

لَمْ يَستَمِعْ لي بُولْدي (أوْ بالأحْرى المِعْطَفُ) بَلْ وَقَفَ هُناكَ كَشَخْصٍ .. شَخْصٍ بِدونِ رأسٍ أوْ رِجْلَيْنِ أوْ يَدَيْنِ ، ثُمَّ بدأ « يَمْشي » نحوي ، وبَعْدَ بِضْعِ خُطُواتٍ هادِئةٍ ، رفَعَ « ذِراعَهُ » وهَزَّها في اتّجاهي

كُنْتُ أشْعُرُ بالغَضَبِ نَحْوَ بُولْدي ؛ فقُلْتُ صائِحًا : « لَقَدْ بالَغْتَ في يكْفيني مِنْ أعاجيبِكَ السَّخيفةِ ! وسأُنْزِلُ بِكَ العِقابَ على فعْلَتِكَ هٰذِهِ ؛ سأُصْرِفُكَ ، وإذا رَفَضْتَ أنْ تُشارِكَني اللُّعْبةَ المُعْتادةَ ؛ فسأُصْطَرُّ إلى عِقابِكَ . » ومِلْتُ بِجِسْمي على جانِبِ السَّريرِ ، وأمْسَكْتُ بالقابِسِ الذي كانَ مِنَ السَّهْلِ رُؤْيَتُهُ في ضَوْءِ القَمَرِ ، ورَفَعْتُهُ ، ثُمَّ قُلْتُ : « ألا تَرى ؟ سأضَعُهُ الآنَ في المَقْبِسِ ؛ وبِذلِكَ ستَنْصَرِفُ . »

تَحَرَّكَ المِعْطَفُ فجْأةً نحوي ، وامتَدَّتْ ذِراعٌ لِتُمْسِكَ بالقابِسِ وتَنْتَزِعَهُ

مِنْ يَدي ؛ فانْزَلَقَ السِّلْكُ مِنْ خِلالِ أصابِعي ، وسَقَطَ المِصْباحُ على الأرْضِ .

نَهَضْتُ وقَدِ استَبَدَّ بِيَ الغَضَبُ . فأسْقَطَ المِعْطَفُ القابِسَ ، وأسْرَعَ إلى داخِلِ الخزانةِ ، وانْغَلَقَ بابُ الخزانةِ مُحْدِثًا صَوْتًا مُرْتَفِعًا .

التَقَطْتُ المِصْباحَ وأعَدْتُهُ إلى مِنْصَدةِ السَّريرِ ، ثُمَّ تَوَجَّهْتُ إلى الخزانةِ ، وفَتَحْتُها قليلًا . أدْخَلْتُ يَدي وتَلَمَّسْتُ الملابسَ ، وكانَ مِعْطَفي في مَكانِهِ المُعْتادِ ، وكُنْتُ أشْعُرُ بِذلِكَ ، فقَدْ كانَ ناعِمَ المَلْمَسِ ، خالِيًا مِنْ أيِّ شَيْءٍ . وجَذَبْتُ بابَ الخزانةِ وفَتَحْتُهُ ثُمَّ نَظَرْتُ في الدّاخِلِ — داخِلِ المِعْطَفِ — فوَجَدْتُهُ خالِيًا ، خالِيًا تمامًا .. ما مِنْ إشارةٍ أوْ عَلامةٍ أوْ أثَرٍ يَدُلُّ على بُولْدي .

قُلْتُ : « فَهِمْتُ الآنَ .. تُريدُ مِنّي أنْ أُغْلِقَ السِّتائِرَ قَبْلَ أنْ نَلْعَبَ . » ذهَبْتُ إلى النّافِذةِ ، ونَظَرْتُ لِلْخارِجِ ، وكانَتِ القِطَّةُ ما زالَتْ هُناكَ تَموءُ وتَبْكي مِثْلَ طِفْلةٍ صَغيرةٍ ؛ صِحْتُ : « هِش » ؛ ولٰكِنَّها لَمْ تَكُفَّ عَنِ البُكاءِ . وكُنْتُ قَدْ أوْشَكْتُ أنْ أُسْدِلَ السِّتائِرَ ، ولٰكِنّي لاحَظْتُ شَيْئًا ! كانَ هُناكَ شَخْصٌ يَقِفُ خَلْفَ السِّتارةِ ، وكُنْتُ أسْتَطيعُ أنْ أرى بِوُضوحٍ هَيْئةَ هٰذا الشَّخْصِ .. وحاوَلْتُ أنْ أُريحَ السِّتارةَ ؛ فلَمْ أسْتَطِعْ ولَمْ يَدَعْني هٰذا الشَّخْصُ أقومُ بِذلِكَ . وصِحْتُ بِغَضَبٍ : « يَكْفي هٰذا » ، ورَجَعْتُ

إلى الفراش ، فتحركت الستارة لتعصف النافذة ، فأصبحت الحجرة في تلك اللحظة في ظلام دامس ، وقلت : « إذا ، فأنت تريد اللعب الآن » ؛ مامن إجابة بطبيعة الحال غير مواء القطة خارج النافذة .

مددت يدي نحو القابس الذي كان ملقى على الأرض ، فوجدته وأولجته في المقبس ، وأضاءت الحجرة وكان بولدي قد اختفى .

مرة أخرى بقيت مستيقظا لفترة طويلة . لقد لعبنا مباراة سيئة ، سيئة للغاية . وفي أثناء رقادي في الفراش كنت أسمع دقات قلبي العنيفة ، وكنت أسمع أيضا مواء القطة بالخارج ، التي لم تتوقف عن المواء ، وكانت تبكي كطفلة طوال الليل .

الفصل الخامس

مباريات جيدة وأخرى سيئة

في الأعوام الخمسة الماضية ، وحتى الوقت الحاضر ، داومت على لعب المباريات مع بولدي وقد لعبنا كل ليلة مباريات ، بعضها جيد ، وبعضها سيئ . وقد وصفت من قبل المباريات الجيدة ، وكانت مباريات بسيطة للغاية ومُمتعة دائما . وأنا أشعر بالسعادة عندما ألعب مباريات جيدة ، وأشعر بالتعاسة عندما ألعب مباريات سيئة .

قد تتساءل عن أوجه الخلاف بين المباراة « الجيدة » والمباراة « السيئة » ! لقد سبق أن وصفت بعض المباريات السيئة ، ولعلك لاحظت أنه ليس في المباراة السيئة قواعد ، بل يمكن لأي شيء أن يحدث . وهناك شيء آخر ، فأنا عندما ألعب مباراة جيدة لا أشعر بالخوف قط ، ولكنني عندما ألعب مباراة سيئة يمتلئ قلبي رعبا ، فالمباريات السيئة أشبه ماتكون بنذير الشر .

وأود هنا أن أصف بعض المباريات التي حصلتها في السنوات الخمس الماضية . في بداية هذه المباريات (أي في الوقت الذي لعبت فيه مباراة الشطرنج التي وصفتها من قبل) لم تكن المباريات التي لعبناها سيئة ، غير أنه مع مرور الوقت أصبحنا نلعب مباراة جيدة في إحدى الليالي ،

تلعبوها مُباراةٌ سَيِّئةٌ في اللَّيْلةِ التّالِيةِ . وَاسْتَمرَّ هٰذا الحالُ حتّى السَّتِّينَ الأُحيرَتَيْنِ ؛ وَهُنا بَدأَ القَلَقُ يُساوِرُني .. وأَصْبَحَ القَلَقُ وَالخَوْفُ يَمْلآنِ حَياتي دائِمًا .

لِمادا بَدأَ بُولْدي يَلْعبُ مُبارَياتٍ سَيِّئةً ؟ كثيرًا ماسألْتُ نَفْسي هٰذا السُّؤالَ ؛ وَلَمْ أَسْتَطِعِ التَّوصُّلَ إلى سَبَبٍ يُفسِّرُ لِيَ الأَمْرَ . لَقَدْ فَكَّرْتُ في عِدَّةِ أَسْبابٍ مُخْتَلِفةٍ ، وَلَعلَّكَ تَهْتَدي بِنَفْسِكَ إلى بَعْضِها ، غَيْرَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ أَنْ تُفكِّرَ في شَيْءٍ ما ، ثُمَّ تَقولَ : « هٰذا هُوَ السَّبَبُ . »

كُنْتُ أَعْتَقِدُ في أَوَّلِ الأَمْرِ أَنَّ بُولْدي كانَ غَيورًا ، أَيْ أَنَّهُ يَغارُ إذا ما كسَبْتُ إحْدى المُبارَياتِ ؛ وَلِذٰلِكَ كُنْتُ أَدَعُهُ يَكْسِبُ طَوالَ الوَقْتِ . وَبِالرَّغْمِ مِنْ ذٰلِكَ كانَ يُريدُ أَنْ يَلْعَبَ مُبارَياتٍ سَيِّئةً .

لَعَلَّهُ كانَ يُريدُ أَنْ يُعاقِبَني ! وَلٰكِنْ مادا فَعَلْتُ ؟ ! فَكَّرْتُ في ذٰلِكَ كَثيرًا . قَدْ يَكونُ بُولْدي عاصِبًا لِأَنَّني أَخْبَرْتُ لِويس عَنْهُ ، وَلٰكِنَّني لَمْ أُخْبِرْ لِويس كُلَّ شَيْءٍ ، فَكُلُّ ما قُلْتُهُ إنَّ بُولْدي كانَ إحْدى الشَّخْصِيّاتِ في إحْدى قِصَصي البوليسِيَّةِ ، وَلَمْ أَقُلْ إنَّهُ شَبَحٌ ، أَوْ شَبَحٌ يُحِبُّ اللَّعِبَ وَالصُّوضاء . وَلاتَنْسَ « أَيُّها القارِئُ » أَنَّ المُبارَياتِ السَّيِّئةَ كانَتْ قَدْ بَدأَتْ قَبْلَ أَنْ أَقولَ شَيْئًا لِلويس .

مَنْ يَكونُ بُولْدي ؟ كثيرًا ما فَكَّرْتُ في ذٰلِكَ أَيْضًا ، ولَوْ عَلِمْتُ

الإجابةَ عَنْ هٰذا السُّؤالِ ، لَكانَ مِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ أَتَوصَّلَ إلى إجابةٍ عَنْ سُؤالي الأَوَّلِ عَنْ سَبَبِ رَغْبَتِهِ في لَعِبِ مُبارَياتٍ سَيِّئةٍ . ولٰكِنّي لا أَسْتَطيعُ التَّوصُّلَ لِلإجابةِ ، فَكَثيرًا ماكُنْتُ أَتساءَلُ :هَلْ بُولْدي شَبَحُ زَوْجَتي المَيِّتةِ ؟ هَلْ بُولْدي هُو جولي حَقيقةً ؟ وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الإجابةَ عَنْ هٰذا السُّؤالِ لا بُدَّ أَنْ تَكونَ : « لا » ، فَلَمْ يُعْطِني بُولْدي أَيَّةَ إشارةٍ أَوْ عَلامةٍ عَلى الإطْلاقِ . فَهُناكَ مَثَلًا صورةٌ لجولي مُعَلَّقةٌ عَلى حائِطِ حُجْرةِ نَوْمي ، وكانَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَهُزَّها أَوْ يُحَرِّكَها ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ قَطُّ . لَقَدِ احْتَفَظْتُ بِأَحَدِ فَساتيني جولي ، وَهُوَ فُسْتانُ سَهْرةٍ جَميلٌ ، اِحْتَفَظْتُ بِهِ في خِزانةِ مَلابِسي ، وَلَمْ يَلْمِسْهُ بُولْدي قَطُّ . بَلْ كَثيرًا ماكانَ يُخْرِجُ مَلابِسي أَنا مِنَ الخِزانةِ ، وَلَوْ كانَ بُولْدي هُوَ جولي لَاسْتَطاعَ أَوِ اسْتَطاعَتْ بِكُلِّ سُهولةٍ أَنْ تُعْطِيَني إشارةً تَدُلُّ عَلى ذٰلِكَ . وَتَذَكَّرْ « أَيُّها القارِئُ » أَنَّ جولي كانَتْ تُحِبُّني كَما كُنْتُ أُحِبُّها تَمامًا . مِنْ أَجْلِ هٰذا كُلِّهِ لايُمْكِنُ أَنْ يَكونَ بُولْدي هُوَ جولي ، وَمَعَ ذٰلِكَ لا يُمْكِنُني الجَزْمُ بِذٰلِكَ .

هَلْ بُولْدي مُجَرَّدُ جُزْءٍ مِنْ خَيالي ؟ كَلّا ، وَأَلْفُ كَلّا ! وَما السَّبَبُ ؟ إنَّ كُلَّ هٰذِهِ الأَشْياءِ تَحْدُثُ فِعْلًا ، فَأَنا لا أَتَخَيَّلُها ، بَلْ هِيَ حَقائِقُ ، فَبُولْدي مَوْجودٌ في الواقِعِ .

شَيْئًا فَشَيْئًا كانَتِ المُبارَياتُ السَّيِّئةُ الَّتي كُنْتُ أَلْعَبُها مَعَ بُولْدي تَزْدادُ عَدَدًا ، ثُمَّ بَدأَ القَلَقُ يُساوِرُني . كُنْتُ أَوَدُّ فَقَطْ أَنْ أَتَمَكَّنَ مِنْ لَعِبِ

مُباريات جَيِّدة . كيف يُمكنني تَحَسُّ المُباريات السَّيِّئة ؟ حاولْتُ تحسُّها بعِدَّةِ وَسائِل ، سَأَصِفُ لَكَ بَعْضَها .

كُنْتُ أَعْرِفُ دائمًا مَتى نَكونُ عَلى وَشْكِ لعب مُباراةٍ سَيِّئة ، إذْ كانَ في اسْتطاعَتي أَنْ أَشْعُر مُقَدَّمًا بِمَدير الشَّرّ حتى قبل بدء المُباراة . وَكانَ مِنَ الأَشْياء الَّتي حاولْتُها أَنّي كُنْتُ أقومُ بحذْب القابس ، ثُمَّ إدْخاله في المَقْبس بسُرْعة ؛ وَبِذلِكَ لاتَسْنَحُ الفُرْصةُ لِبُولْدي أَنْ يَلْعَبَ ، إذْ يَنْصَرِفُ بِمُجَرَّد أَنْ يَرْجع القابسُ إلى مَكانه في المقْبس .

كانَتْ مُفاجأةً بالنِّسْبة لِبُولْدي في أَوَّل مَرَّة اسْتخْدمْتُ فيها هٰذا الأُسْلوب ، فَقَدْ كانَ أُسْلوبًا ناجِحًا تَمامًا . وَلٰكِنَّهُ الآنَ لايُعْطيني أَيَّةَ فُرْصة لاسْتخْدامه مَرَّةً أُخْرى ، فهُوَ يَعْلَمُ - مُقَدَّمًا - متى سأَلْجأُ إليْه .

حاولْتُ طريقةً أُخْرى (لتحسُّ المُبارَياتِ السَّيِّئة) .. تَذَكَّرْ أَنَّ بُولْدي يسْكُنُ حُجْرةَ نَوْمي فَقَطْ ، وَلايسْكُنُ أَيَّ جُزْءٍ آخَر في المَنْزِل أبدًا ، بذلك حَرَّمْتُ النَّوْمَ في حُجُراتِ المَنْزِل الأُخْرى ، ومعَ ذٰلك لَمْ أَسْتطعْ عَنْ طريق هٰذهِ الوَسيلة تجَنُّبَ لَعِبِ مُباراةٍ سَيِّئة !

وَفي إحْدى اللَّيالي كُنْتُ نائمًا في حُجْرة مَكْتبي ، وَرَأَيْتُ حُلْمًا عريبًا .. رأَيْتُ أَنّي أَنامُ في حُجْرة مَكْتبي ، وَحَلَمْتُ أَنّي أَنْهَضُ مِنَ النَّوْم ، وَأَذْهَبُ إلى حُجْرة نَوْمي ، ثُمَّ أَجْلسُ في سَريري ، وَأَقْرَأُ كتابًا

على ضوء المِصْباح . ورأَيْتُ في الحُلْم أَنّي أَحْدبُ القابسَ مِن المقْبس ثُمَّ فَجْأَةً أَسْتيقظ ! لَمْ أَكُنْ في حُجْرة مكْتبي حينَ اسْتيقظْتُ ، بَلْ كُنْتُ في حُجْرة نَوْمي ، أَميلُ بجسْمي على حافة السَّرير ، وَكانَ القابسُ في يدي .. لَقَدْ مشَيْتُ وأَنا نائِمٌ . فَعلها بُولْدي ، لَقَدِ استَدْرَجَني - أَثْناءَ الحُلْمِ - إلى حُجْرةِ النَّوْمِ .

جَرَّبْتُ شيْئًا آخر .. حاوَلْتُ أَلّا أَلْعب المُباراةَ ؛ فهي إحْدى اللَّيالي جلسْتُ في الفراش - وَالنُّورُ مُضاءٌ - ثُمَّ أَطْفَأْتُ النُّورَ باسْتخْدام مِفْتاح ، وطبْقًا لِلْقاعِدةِ لَمْ يَظْهَرْ بُولْدي . واسْتغْرَقْتُ في النَّوْم بشكْل صنعيّ ، وبعْد مُرور جُزْءٍ مِن اللَّيْل اسْتيقظْتُ فجْأَةً وَضغطْتُ على مِفْتاح النُّور . لا أَعْرِفُ حَتَّى الآنَ - لِم فعلْتُ ذٰلك ؟ ! وَلٰكِنْ في ذٰلك الوَقْت كُنْتُ أَشْعُرُ وكأَنَّهُ يجبُ عَلَيَّ أَنْ أقوم بذٰلك ، ثُمَّ جَذَبْتُ القابسَ خارج المقْبس ، وهٰكذا بدأَتِ المُباراةُ . حدَث هٰذا عدَّةَ مَرَّاتٍ .

قَدْ تسْأَلُني : لِم لاتتبعُ المَنْزِلَ وترْحلُ ؟ ! لَقَدْ سأَلْتُ نَفْسي هٰذا السُّؤال أَيْضًا .. في حقيقة الأَمْر لا أَسْتطيعُ . لقَدْ فكَّرْتُ في ذٰلك كَثيرًا ، وَلٰكِني لا أَسْتطيعُ القيام بذٰلك .. وَلٰكِنْ جَرَّبْتُ شيْئًا آخر ، لَقَدْ تَرَكْتُ المَنْزِلَ عنْدما حَلَّ اللَّيْلُ وذهَبْتُ إلى فُنْدُق . ولٰكِنْ حِين كُنْتُ أَفْعَلُ ذٰلِكَ لَمْ أَكُنْ أَسْتطيعُ النَّوْم ، ودائِمًا كُنْتُ أُغادرُ الفُنْدُق أَثْناء اللَّيْل ، وَأَقومُ بتسْديد الفاتورة - مثلًا - في السَّاعة الرَّابعة صباحًا . ثُمَّ أتوجَّهُ لِلْمَنْزِل .

لَيْسَ ٱلأَمْرُ سَهْلًا أَنْ تُعادِرَ ٱلفُنْدُقَ في الرّابِعةِ صباحًا ! (يُمْكِنُكَ أَنْ تُجرِّب وتَتحقَّقَ بنَفْسِكَ مِنْ ذٰلِكَ !) وَبَعْدَ ذٰلِكَ أَتَوَجَّهُ إلى السَّرير ، وأَلْعبُ مُباراةً مَعَ بُولْدي . لَعَلَّكَ تَرى ٱلآنَ أَنّي لا أَسْتطيعُ - أَبَدًا - أَنْ أَتحسَّبَ ٱلاشْتِراكَ في مُباراةٍ ، فَدائِمًا يَجِدُ بُولْدي وَسيلةً ما يَسْتَدْرِجُني بِها ، وَيَعودُ بي إلى حُجْرةِ نَوْمي .

مُنْذُ حَوالى سَنةٍ تَقْريبًا ، كُنْتُ وَبُولْدي قَدْ لَعِبْنا مُبارَياتٍ سَيِّئةً عَديدةً ، وَلٰكِنْ في كُلِّ تِلْكَ ٱلمُبارَياتِ لَمْ يَحْدُثْ أَنْ لَمَسَني بُولْدي . لَقَدْ حاوَلْتُ ٱلإمْساكَ بِبَعْضِ ٱلأَشْياءِ ، وَحاوَلْتُ « لَمْسَهُ » عَنْ طَريقِها ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَلْمِسْني قَطُّ ، وَكانَ ذٰلِكَ يُمَثِّلُ قانُونًا . وَعَلى ذٰلِكَ ، عِنْدَما لَمَسَني بُولْدي لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، لا أَسْتَطيعُ وَصْفَ ٱلفَزَعِ وَالرُّعْبِ ٱلَّذي ٱسْتَبَدَّ بي حينَذاكَ .

لَقَدْ حَدَثَ كُلُّ ذٰلِكَ في إحْدى ٱللَّيالي مُنْذُ سَنةٍ تَقْريبًا ، عِنْدَما ذَهَبْتُ إلى ٱلفِراشِ في السّاعةِ ٱلحادِيةَ عَشْرةَ ، وَكُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّها سَتَكونُ لَيْلةً سَيِّئةً وَلَيْسَتْ طَيِّبةً .

كُنْتُ أَشْعُرُ بِذٰلِكَ ، وَقَرَأْتُ لِساعاتٍ طِوالٍ لِأَنّي لَمْ أَكُنْ أُريدُ أَنْ أُخْرِجَ ٱلقابِسَ مِنْ مَقْبِسِهِ ، وَلٰكِنَّني شَعَرْتُ في النِّهايةِ بِمَيْلٍ شَديدٍ لِلنَّوْمِ ، وَبِطَبيعةِ ٱلحالِ لَمْ أَسْتَطِعِ ٱلنَّوْمَ . مِلْتُ عَلى جانِبِ السَّريرِ بِطَريقَتي ٱلمُعْتادةِ ، وَجَذَبْتُ ٱلقابِسَ مِنَ ٱلمَقْبِسِ ، وَفي ٱلحالِ كانَتْ عَيْناي

مَفْتوحَتَيْنِ عَلى اتِّساعِهِما ، وَكُنْتُ مُسْتَيْقِظًا تَمامًا . كانَ بُولْدي مَوْجودًا ، وَكُنّا مُسْتَعِدَّيْنِ لِلْمُباراةِ . وَفي ٱلمُبارَياتِ السَّيِّئةِ لا يُعْطي بُولْدي عادةً إشارةً تَدُلُّ بِوُضوحٍ عَلى وُجودِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ في تِلْكَ ٱللَّيْلةِ أَعْطى في ٱلحالِ - إشارةً واضِحةً تَمامًا .

ٱسْتَلْقَيْتُ في ٱلفِراشِ مَذْعورًا ، وَٱنْتَظَرْتُ ؛ فَلَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ لِلَحْظةٍ ، ثُمَّ وَجَدْتُ السَّريرَ يَتَحَرَّكُ . وَلَمْ يَكُنْ بُولْدي يَهُزُّ السَّريرَ ، بَلْ كانَ يَرْفَعُهُ بَعيدًا عَنِ ٱلأَرْضِيَّةِ ! كانَ السَّريرُ يَرْتَفِعُ في ٱلهَواءِ . مِلْتُ بِجِسْمي عَلى جانِبِ السَّريرِ ، وَحاوَلْتُ أَنْ أَلْمِسَ أَرْضِيَّةَ ٱلحُجْرةِ . كانَ السَّريرُ عَلى ما أَعْتَقِدُ - بَعيدًا عَنْها بِحَوالى ثَلاثِ أَقْدامٍ . ثُمَّ بَدَأَ السَّريرُ يَدورُ ، وَأَخَذَ يَدورُ وَيَدورُ - بِبُطْءٍ أَوَّلَ ٱلأَمْرِ ثُمَّ بِسُرْعةٍ .. وَبِسُرْعةٍ أَكْبَرَ ! وَفَجْأَةً تَوَقَّفَ عَنِ الدَّوَرانِ في ٱلهَواءِ ، وَوَقَعَ بِسُرْعةٍ عَلى أَرْضِيَّةِ ٱلحُجْرةِ .

لَمَسَ السَّريرُ ٱلأَرْضِيَّةَ بِخِفَّةٍ ، ثُمَّ ٱتَّخَذَ مَكانَهُ ٱلمُعْتادَ : رَأْسُ السَّريرِ مُلاصِقٌ لِلْحائِطِ ، وَٱلمِنْضَدةُ بِجِواري . وَحاوَلْتُ أَنْ أَصِلَ إلى ٱلقابِسِ ، فَتَحَسَّسْتُ ٱلأَرْضِيَّةَ بِأَصابِعي وَوَجَدْتُهُ ، وَحاوَلْتُ أَنْ أُعيدَهُ إلى مَكانِهِ في ٱلمَقْبِسِ ، فَإِذا بِبُولْدي يَضْرِبُ بِشِدَّةٍ عَلى يَدي ! أَسْقَطْتُ ٱلقابِسَ بِفَزَعٍ ، وَلَمْ يَحْدُثْ مِنْ قَبْلُ أَنْ لَمَسَني بُولْدي ، وَلٰكِنَّهُ ٱلآنَ صَفَعَني !

اسْتَلْقَيْتُ عَلى ظَهْري في ٱلفِراشِ ، وَكانَ ٱلهُدوءُ يَسودُ ٱلحُجْرة . . السَّريرُ لايَتحرَّكُ ، وَإذا بي أَشْعُرُ بِشَـيْءٍ فَوْق رَأْسي ، شَـيْءٍ أَشَدَّ بِطائِرٍ !

وَضَعْتُ يَدي عَلى رَأْسي .. مامِنْ شَـيْءٍ ! ثُمَّ شَعَرْتُ بِشَـيْءٍ يَلْمسُ شَعْري بِلُطْفٍ ؛ مِثْلِ يدٍ ناعِمةٍ ، كانَتْ أَصابِعُها تتحلَّلُ شَعْري .

قَفَزْتُ مُبْتعِدًا عنِ السَّرير ، وَجَرَيْتُ صَوْب ٱلحائِطِ ٱلآخرِ لِلْحُجْرة ، فسمِعْتُ وَقْعَ خُطُواتٍ خَلْفي ؛ فاسْتَدَرْتُ .. كانَ بُولْدي خَلْفي . دُرْتُ حَوْل نَفْسي ، ثُمَّ دُرْتُ مَرَّةً أُخرى ، وَلٰكِنَّ بُولْدي كانَ دائمًا خَلْفي ، وَإذا بِهِ يَصْفَعُني على وَجْهي ! ثُمَّ بَدأَ يَقْرُصُني ، بِلُطْفٍ في بادئِ ٱلأَمْرِ : قَرْصةً صَغيرةً في ٱلوَجْه ، قَرْصةً ناعِمةً ، وَبَدأَ بَعْد ذٰلِكَ يَقْرُصُ بِشِدَّةٍ ذِراعي وَرِجْلي . كُنْتُ أُرْكُلُ بِقَدَمي وَأَصيحُ ، وَلٰكِنّي لَمْ أَسْتَطِعْ إيقافَهُ ؛ فَقَفَزْتُ عائِدًا إلى السَّرير ، وَ .. لَنْ تُصَدِّقَ ماحدث .. عَضَّ بُولْدي وَجْهي بِشِدَّةٍ ! صَرَخْتُ مُتألِّمًا ؛ وَمِتُّ بِجِسْمي عَلى جانِبِ السَّرير ، وَتَحَسَّسْتُ ٱلأَرْضِيَّة .. تَحَسَّسْتُها بِقَلَقٍ ، باحِثًا عَنِ ٱلقابِسِ ، وَأَخيرًا كانَتْ يدي تَقْبِضُ عَلَيْهِ .

حاوَلْتُ أَنْ أَبْحَثَ عَنِ ٱلمِقْبِسِ .. تَحَسَّسْتُ ٱلحائِطَ بِإِصْبَعي .. لَمْ يُمَكِّنّي ٱلخَوْفُ وَٱلفَزَعُ مِنَ ٱلعُثورِ عَلى مَكانِهِ . كُنْتُ أُصيحُ : « يا إلٰهي ! أَيْنَ هُوَ ؟ أَيْنَ ٱلمِقْبِسُ ؟ » كانَتْ هُناكَ قُوَّةٌ جَبّارةٌ تُحاوِلُ انْتِزاعَ ٱلقابِسِ

مِنْ يَدي ، وَلٰكِنّي كُنْتُ قَوِيًّا بِخَوْفي ! .. كُنْتُ أَقْوى مِنْ بُولْدي . دَفَعْتُ ٱلقابِسَ – بِكُلِّ قُوَّتي – داخِلَ ٱلمِقْبِسِ ؛ فَعَمَرَ الضَّوْءُ ٱلحُجْرةَ . وَفَجْأَةً أَصْبَحْتُ وَحيدًا ؛ فَتَنَفَّسْتُ الصُّعَداءَ ، بَيْنَما قَلْبي كانَ يَدُقُّ بِشِدَّةٍ ، وَجِسْمي يَرْتَعِدُ مِنَ ٱلفَزَعِ وَٱلخَوْفِ .

كانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ عَصيبةً لِلْغايةِ ، وَكانَتْ هٰذِهِ هِيَ ٱلمَرَّةَ ٱلأُولى الَّتي لَمَسَني فيها بُولْدي ، وَبَعْدَها لَمَسَني كَثيرًا .. أَحْيانًا بِأَصابِعِهِ ، وَبِطَريقةٍ ناعِمةٍ ، وَأَحْيانًا أُخرى كانَ يَقْرُصُني أَوْيَصْفَعُني أَوْيَرْكُلُني .

لَمْ تَعُدِ ٱلمُباراةُ مُجَرَّدَ لُعْبةٍ سَيِّئةٍ ، بَلْ تَحَوَّلَتْ إلى لُعْبةٍ خَطِرةٍ ! كَما ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ قَبْلُ ، أَيُّها ٱلقارِئُ ، بَدَأْنا نَلْعَبُ مَعًا مُبارَياتٍ سَيِّئةً ، تَزْدادُ سوءًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، غَيْرَ أَنَّ عَدَدَ ٱلمُبارَياتِ السَّيِّئةِ كانَ مُساوِيًا لِعَدَدِ ٱلمُبارَياتِ ٱلجَيِّدةِ .

كانَ ٱلأَمْرُ كَذٰلِكَ مِنْ سَنةٍ مَضَتْ ، وَلٰكِنْ بَعْدَ أَنْ لَمَسَني بُولْدي لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَصْبَحَ ٱلأَمْرُ مُخْتَلِفًا بَعْضَ الشَّـيْءِ ، فَلَمْ يَحْدُثْ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنْ لَعِبْنا مُباراةً واحِدةً جَيِّدةً . فَفي السَّنةِ ٱلماضِيةِ لَمْ نَكُنْ نَلْعَبُ إلّا مُبارَياتٍ سَيِّئةً كُلَّ لَيْلةٍ ! كانَتْ كُلُّ مُبارَياتِنا سَيِّئةً ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَتِمَّ بِطَريقةٍ واحِدةٍ .

لَقَدْ أَصْبَحَ بُولْدي شَخْصًا شِرِّيرًا تَمامًا ، وَلايَظْهَرُ لي مِنْ شَخْصِيَّتِهِ

إلّاحانها الشرّير ، وأصبحت حجرة نومي مكانًا شريرًا ، يمتلئ بالشرّ نهارًا ، حتّى حين لايكون بوليدي موجودًا . كان مكانًا شريرًا طوال الوقت ! لكن ما العمل ؟ ! لست أدري ! ببساطة لا أدري !

حتّى شهر مضى ، كنت على مايرام طوال النهار . كنت أذهب إلى حجرة مكتبي كلّ يوم وأكتب ، وكان هذا يشغل ذهني عن أمر بوليدي ، وكنت أشغل تفكيري في البحث عن مغامرات جديدة لفيلبرت وأيلي ، وكان هذا مصدر سعادتي .

ولكنّي لم أستطع أن أعمل طيلة الشهر الماضي . ومازلت أتوجّه لحجرة مكتبي كلّ يوم ، ولكنّي أجلس إلى مكتبي ، ثمّ أنظر حارس النافذة .. لا أكتب شيئًا .. إنّي أنام قليلًا ، وآكل قليلًا جدًّا . أصبحت نحيفًا وصعيفًا .. ولكنّي أكتب اليوم .. إنّي الآن منهمك في كتابة هذه الكلمات . إنّي أكتب بسرعة ، قبل أن يفوت الأوان .. نعم يجب أن أكتب هذه القصّة الّتي تحكي حياتي مع بوليدي ، قبل أن يفوت الأوان .

قد تسأل : لم لاتخبر لويس بهذا الأمر ؟ فما زال لويس يزورني كلّ يوم أربعاء ، و مازلنا نلعب الشطرنج ، ولكنّي لا ألعب الآن بمهارة .. وهو دائمًا يهزمني . إنّي أشعر دائمًا بالتعب والقلق .

في الأسبوع الماضي سألني لويس : « ماذا بك يا وليم ؟ إنّي لم

أعدّ أفهمك . إنّك مريض ؛ ولا بدّ لك من عرض نفسك على طبيب . إنّي قلق عليك ، وإذا لم تستدع طبيبًا ، فسأستدعيه بنفسي . »

لا أستطيع – بطبيعة الحال – أن أسمح للويس باستدعاء الطبيب ؛ فقلت : « اسمع يا لويس .. أعرف أنّي لست على مايرام ، ولكنّ حالي ستتحسّن قريبًا . إنّني منهمك الآن في كتابة قصّة غريبة جدًّا عن فيلبرت وأيلي ، وسأتحسّن بالتأكيد عند انتهائي من كتابتها . أعرف ذلك يقينًا ، ولذلك أرجوك ألّا تستدعي طبيبًا . أتعدني بذلك ؟ »

قال لويس : « حسنًا يا وليم ، أعدك بذلك . »

إنّ لويس صديق مخلص ، وأعرف أنّه سيفي بوعده .

قد تسأل أيّها القارئ : هل حاولت أن تخبر لويس بأمر بوليدي ؟ نعم ، فعلت .. حاولت عدّة مرّات . ولكن في كلّ مرّة كنت أعجز عن الكلام . حاولت أن أطلب من لويس أن يبقى معي في المنزل ليلة كاملة ، ولكنّي لم أتمكّن . فعندما كنت أحاول فتح فمي ، لم أكن أقوى على ذلك ، بل وأسمع دائمًا – وقع خطوات آتية من الحجرة في الطابق العلوي . كنت أسمع دائمًا تحذيرًا صادرًا عن بوليدي ، ودائمًا ترد على ذهني الكلمات : « هذا سرّنا ! » قد تكون هذه الكلمات صادرة من صوت حقيقي ؛ لعلّه صوت بوليدي يتحدّث بلطف ، ولكنّه

يَحْمِلُ – دائِمًا – تَحْذيرًا لي .

في أَحَدِ أَيّامِ الأَرْبِعاءِ – مُنْذُ شَهْرَيْنِ تَقْريبًا – كُنْتُ أَلْعَبُ الشَّطْرَنْجَ مَعَ لِويس ، وَكُنْتُ مُتْعَبًا جِدًّا ، فَقَدْ كانَتِ اللَّيْلَةُ الماضِيَةُ عَصيبَةً لِلْعايَةِ . وَحاوَلْتُ أَنْ أَلْعَبَ ، وَلَمْ أَكُنْ أُفَكِّرُ في بُولْدي ، غَيْرَ أَنَّ لِويس ذَكَرَ اسْمَ بُولْدي فَجْأَةً ، وَبَدَأَ يُحَدِّثُني أَثْناءَ الْمُباراةِ .

قالَ لِويس : « وِلْيم ، كُنْتُ بِالأَمْسِ في الْمَكْتَبَةِ ، وَكُنْتُ أَبْحَثُ عَنْ آخِرِ مُؤَلَّفاتِكَ .. قِصَصٍ فيكْتورْيَن وايْلي . إِنَّني أَذْكُرُ أَنَّكَ حَدَّثْتَني ذاتَ مَرَّةٍ ، لَعَلَّها مُنْذُ خَمْسِ سَنَواتٍ ، عَنْ شَخْصِيَّةٍ حَديدِيَّةٍ .. إِنَّكَ أَعْطَيْتَ هٰذِهِ الشَّخْصِيَّةَ اسْمَ بُولْدي . لَمْ أُنْسَ قَطُّ اسْمَ هٰذِهِ الشَّخْصِيَّةِ ، لأَنَّهُ اسْمٌ غَريبٌ . إِنَّني لا أَميلُ إِلَيْهِ ، وَلٰكِنَّني تَذَكَّرْتُهُ بِكُلِّ تَأْكيدٍ .. وَقَدِ اشْتَرَيْتُ جَميعَ مُؤَلَّفاتِكَ الأَخيرَةِ ، وَقَرَأْتُها جَميعًا ؛ وَ اسْتَمْتَعْتُ بِها ، إِلَّا أَنَّني لَمْ أَلْتَقِ بِهٰذِهِ الشَّخْصِيَّةِ – شَخْصِيَّةِ بُولْدي – في أَيٍّ مِنْها . »

شَحَبَ وَجْهي ، وَكانَ بُولْدي يَدُقُّ بِشِدَّةٍ عَلى أَرْصِيَّةِ الْحُجْرَةِ في الطَّابَقِ الْعُلْوِيِّ . كُنْتُ أَسْمَعُهُ ، وَلٰكِنَّ لِويس لَمْ يَكُنْ في مَقْدورِهِ ذٰلِكَ . وَفي النِّهايَةِ قُلْتُ : « نَعَمْ يا لِويس ، لَمْ أَسْتَخْدِمْ هٰذِهِ الشَّخْصِيَّةَ في قِصَّتي ، لَقَدْ غَيَّرْتُ الْقِصَّةَ . »

سَأَلَ لِويس : « لِماذا ؟ إِنَّني أَذْكُرُ أَنَّهُ كانَ شَخْصِيَّةً مُمْتِعَةً ،

بِحاسِيَها .. الْحَيِّ وَالشِّرِّيرِ . »

صِحْتُ : « كَلّا ، بَلْ هُوَ شَرٌّ ! شَرٌّ ! شَرٌّ حالِصٌ ! »

ارْتَفَعَ صَوْتُ الدَّقِّ الصّادِرِ مِنْ أَرْضِيَّةِ الْحُجْرَةِ في الطّابَقِ الْعُلْوِيِّ . كانَ أَشْبَهَ بِرَقْصٍ مَحْمومٍ ، وَسَمِعْتُ التَّحْذيرَ .. وَ اسْتَخْمَعْتُ نَفْسي ، وَقُلْتُ في صَوْتٍ هادِئٍ : « إِنَّني آسِفٌ . نَعَمْ ، لَمْ أَسْتَخْدِمْ هٰذِهِ الشَّخْصِيَّةَ . »

(لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَلْفِظَ اسْمَ بُولْدي) .

واصَلْنا لَعِبَ الشَّطْرَنْجِ ، وَانْتَهَتِ الْمُباراةُ بِالطَّريقَةِ الْمُعْتادَةِ . وَقالَ لِويس : « ماتَ الْمَلِكُ . » وَخَسِرْتُ مَلِكي ، وَ انْتَهَتِ الْمُباراةُ . وَتَمَنَّى لي لِويس لَيْلَةً سَعيدَةً ، وَ انْصَرَفَ .

أَثَرُ بُولْدي في عِقابًا حَقيقِيًّا تِلْكَ اللَّيْلَةَ : قَرْصي وَرَكْلي ، وَصَفْعي وَ الْعَريسُ أَنَّ كُلَّ هٰذِهِ الأَفْعالِ لا تَتْرُكُ أَيَّةَ آثارٍ عَلى جِسْمي أَبَدًا . وَكَثيرًا ما أَشْعُرُ بِآلامٍ فَظيعَةٍ ، وَلٰكِنْ دُونَ أَنْ يَكونَ عَلى جِسْمي أَثَرٌ .

وَتَوَصَّلْتُ مِنْ هٰذا كُلِّهِ إِلى اكْتِشافي الرّابِعِ الْهامِّ : لَمْ يَكُنْ بُولْدي يَميلُ بِلِويس وَلا كانَ يَرْعَى في حُضورِهِ إِلى مَنْزِلي . كانَ يُريدُ أَنْ يَنْفَرِدَ بي طَوالَ الْوَقْتِ ، وَكانَتْ مُباراياتُ أَماسِيِّ الثُّلاثاءِ – وَهِيَ الأَماسِيُّ الَّتي تَسْبِقُ زِيارَةَ لِويس لي – دائِمًا عَصيبَةً لِلْعايَةِ .

لَمْ أَعُدْ أَسْتَمْتِعُ بِأَماسِيِّ الثُّلاثاءِ ، بَلْ أَخْشاها .. وَالْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ الثُّلاثاءِ .

اَلفَصْلُ السَّادِسُ

مَساءُ اَلِاثْنَيْنِ

أَوَدُّ أَنْ أَحْكِيَ لَكَ عَنْ لَيْلَةِ اَلأَمْسِ بِالتَّفْصِيلِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَحْدُثْ أَنْ لَعِبْنا مِنْ قَبْلُ مُباراةً خَطيرةً ، كالَّتي لَعِبْناها بِالأَمْسِ . إِنَّني لَأَرْتَعِدُ بِمُجَرَّدِ التَّفْكيرِ فيها ، بَلْ إِنَّني أَرْتَعِدُ في هٰذِهِ اللَّحْظَةِ الَّتي يَخُطُّ فيها قَلَمي هٰذِهِ السُّطورَ !

سَأَبْدَأُ مِنَ اَلبِدايَةِ . بِالأَمْسِ كُنْتُ جالِسًا في حُجْرَةِ مَكْتَبي طَوالَ اَلْيَوْمِ ، وَ بِطَبيعَةِ اَلحالِ لَمْ أَكْتُبْ كَلِمَةً واحِدَةً ، وَ لَمْ أُحاوِلْ كِتابَةَ أَيِّ شَيْءٍ . إِنَّ فيلْبَرت وابْني لايَثيرُ تَفْكيري أَوِ اهْتِمامي ، وَ لَمْ تَعُدْ مُغامَراتُهُ تَعْني شَيْئًا – بِالمَرَّةِ – بِالنِّسْبَةِ لي .

إِذًا فَكَيْفَ قَضَيْتُ اَلْيَوْمَ ؟ كُنْتُ أَنْظُرُ مِنَ النّافِذَةِ طَوالَ اَلْيَوْمِ . نَحْنُ اَلآنَ في فَصْلِ الشِّتاءِ ، وَمَعَ ذٰلِكَ فالطَّقْسُ لَيْسَ بارِدًا جِدًّا ، وَكانَتِ السَّماءُ صافِيَةً بِالأَمْسِ . كانَتِ الشَّمْسُ ساطِعَةً وَسَطَ السَّماءِ الزَّرْقاءِ ، وَكُنْتُ أَنْظُرُ إِلى حَديقَتي .. كانَتْ هادِئَةً وَحالِيَةً ، وَالحَشائِشُ نَديَّةً ، أَمّا اَلأَشْجارُ فَقَدْ نَضَتْ عَنْها أَوْراقَها .

لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ طَوالَ اَلْيَوْمِ ، لَمْ أَرَ غَيْرَ شَيْءٍ واحِدٍ يُبَشِّرُ بِالحَياةِ : قِطَّةٌ سَوْداءُ تَمْشي عَبْرَ اَلحَشائِشِ . وَقَفَتِ اَلقِطَّةُ تَحْتَ نافِذَةِ حُجْرَةِ

نَوْمي ، ثُمَّ نَظَرَتْ إِلى أَعْلى نَحْوَ النّافِذَةِ لِمُدَّةٍ طَويلَةٍ ، ثُمَّ اَنْصَرَفَتْ في هُدوءٍ . إِنَّني أَذْكُرُ جَيِّدًا تِلْكَ اَلقِطَّةَ ، لَقَدْ رَأَيْتُها مِنْ قَبْلُ ، لَقَدْ سَمِعْتُها في حَديقَتي مُنْذُ سَنَواتٍ - كانَ ذٰلِكَ عِنْدَما بَدَأْتُ لُعْبَتي مَعَ بُولْدي تَسوءُ .

لَمْ تَعُدِ اَلقِطَّةُ تُقْلِقُني اَلآنَ ، لَمْ تَعُدْ ذاتَ أَهَمِّيَّةٍ ، فَقَدْ كانَ مَصْدَرُ قَلَقي اَلوَحيدُ هُوَ بُولْدي .

لَعَلَّكَ تَرى أَنَّهُ لاحاجَةَ لِلْقَلَقِ وَ أَنَّ بِإِمْكاني مُغادَرَةَ اَلمَكانِ لِلأَبَدِ ، فَلَسْتُ مُلْزَمًا بِاللَّعِبِ مَعَ شَبَحٍ ، إِلّا أَنَّني أَرْغَبُ في ذٰلِكَ !

إِنَّ هٰذِهِ اللُّعْبَةَ تُشَكِّلُ جُزْءًا مِنْ حَياتي ، وَ هِيَ تَسْتَحْوِذُ دائِمًا عَلى تَفْكيري ، لِذٰلِكَ لا بُدَّ مِنْ أَنْ أَبْقى هُنا حَتَّى النِّهايَةِ .

أَعْلَمُ أَنَّني أَثَرْتُ فُضولَكَ ، وَ أَنَّكَ تَوَدُّ أَنْ تَعْرِفَ أَحْداثَ اللَّيْلَةِ اَلماضِيَةِ ، إِلّا أَنَّكَ لا بُدَّ أَنْ تُتيحَ لي وَقْتًا كافِيًا ، حَتَّى أَتَمَكَّنَ مِنْ تَرْتيبِ وَقائِعِها بِالشَّكْلِ اَلمُناسِبِ ، فَقَدْ حَدَثَتْ أُمورٌ كَثيرَةٌ ، وَ أُريدُ أَنْ أَذْكُرَها جَميعًا .

ظَلَّتِ السَّماءُ صافِيَةً أَثْناءَ اللَّيْلِ ، وَكانَ اَلقَمَرُ نَذْرًا ، فَقَدْ كانَتِ اللَّيْلَةُ شَبيهَةً بِاللَّيْلَةِ الَّتي قُمْتُ بِوَصْفِها مِنْ قَبْلُ في هٰذِهِ اَلقِصَّةِ . كُنْتُ سَعيدًا بِرُؤْيَةِ اَلبَدْرِ ، فَقَدْ غَمَرَ حُجْرَتي بِضَوْئِهِ ، وَ لَمْ أُسْدِلْ ستائِرَ النّافِذَةِ قَبْلَ

تَوَجَّهي لِلْفِراشِ . كُنْتُ أَسْتَمْتِعُ بِضَحْيَةِ ٱلقمرِ . و في مُنتصف اللَّيْلِ تقريبًا نَزَعْتُ ٱلقابِسَ مِنَ ٱلمَقْبِسِ ؛ وَ في ٱلحالِ بَدَأَتِ اللُّعْبَةُ .

فاجأني بُولْدي عِنْدَ بدايةِ ٱلمُباراةِ ، فلمْ يَبْدأْ بدايةً سيِّئةً ، بَلْ بدأها بشكلٍ جيِّدٍ ؛ حتَّى إنَّني لَمْ أُصدِّقْ ما حدث ! ذٰلك لأنَّنا لَمْ نلعبْ مُباراةً جَيِّدةً مُنْذُ فترةٍ طويلةٍ .

كُنْتُ أَشْعُرُ بِسعادةٍ طاغيةٍ أثناءَ اللَّعِبِ ، و لَمْ أُدْرِكْ أنَّها خُدْعةٌ ... خُدْعةٌ دَنيئةٌ !

في ٱلبدايةِ الطَّيِّبةِ للْمُباراةِ ثمَّ بُولْدي بِإشارةٍ واضحةٍ عَنْ وُجودِهِ ، فسمِعْتُ طَرْقةً في ٱلحائطِ ٱلآخرِ لِلْحُجْرةِ ، ثُمَّ بدأَ يَعْرُجُ نحوَ سريري ، بَيْنَما كُنْتُ أُحاوِلُ ٱلبَحْثَ عَنِ ٱلقابِسِ . كانَ بُولْدي قَدْ وَصَلَ إلى سريري ، و بدأَ يهُزُّهُ قَبْلَ أنْ أتمكَّنَ مِنْ إيلاجِ ٱلقابِسِ ، و بذٰلك يكونُ بُولْدي قَدْ فازَ بِهٰذِهِ ٱلمُباراةِ . ثُمَّ ٱستأنفْنا اللَّعِبَ . وَكُنْتُ دائمًا أَدَعُهُ يكْسبُ أثناءَ ٱلمُباراتِ الطَّيِّبةِ ، و لٰكنَّني لَمْ أتساهلْ معهُ ٱلبَتَّةَ ٱلساعةَ ، وَ إنَّما فازَ بِٱلفِعْلِ . وكُنْتُ دائمًا أُحِدُّ ٱلقابِسَ ، و لٰكنَّ بُولْدي كانَ أَسْرَعَ مِنِّي .. وَ لَمْ يُسَلِّمْ بي ذٰلك أيَّ قلقٍ ، إلَّا أنَّ شيئًا حدثَ فجأةً ، و وضعَ نهايةً لِلَعِبِ ٱلجيِّدِ

بَدَأْتُ أَرْتَعِدُ ، وَ سادَ حُجْرَتي جَوٌّ باردٌ ، بَلْ شديدُ ٱلبُرودةِ ،

ولا أَعْرِفُ السَّبَبَ ، فَمَنْزِلي دافِئٌ دائمًا ، و أنا أَمْقُتُ ٱلبَرْدَ ... لقدْ تَوَقَّفَتِ ٱلمُباراةُ ٱلجَيِّدةُ في تِلْكَ اللَّحْظةِ ، وَ ٱنْتابَني ... فَجْأةً ... شُعورٌ يُنْذِرُ شَرًّ

كُنْتُ بحاجةٍ إلى الدِّفْءِ ، و لِذٰلك غطَّيْتُ رأسي بِٱلأَغْطيةِ و ٱنْطرْتُ .. وَ إذا بيَدٍ تَنْزِعُ ٱلأَغْطيةَ مِنْ فوْقِ وَجْهي . وَ جلَسْتُ مُتَحَفِّزًا أَرْقُبُ مايَجْري . طارتْ أَغْطيتي عَبْرَ ٱلحُجْرةِ ، ثُمَّ سقطَتْ عَلى ٱلأَرْضِيَّةِ ، وَ جَرَيْتُ خَلْفَها ، وَ لٰكِنْ حينَ حاوَلْتُ مَدَّ يَدي نَحْوها ، أَحدثَتْ تَبْتَعِدُ عَنِّي ، وَكَأَنَّ بُولْدي يَقولُ : « إلْحَقْ بي إنِ ٱسْتَطَعْتَ » ، وَ أَدْرَكْتُ أَنَّهُ يُريدُ أَنْ يُلاعِبَني لُعْبةَ : « سَأَخْتَبِئُ وَ ٱبْحَثْ عَنِّي . » وَ قُلْتُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ : « فَلْيَكُنْ ، إنْ أَرَدْتَ أَنْ تَلْعَبَ هٰذِهِ اللُّعْبةَ ، فأنا عَلى ٱسْتِعْدادٍ ،

و لٰكنْ أرْجوك أنْ تُعيدَ إليَّ أعْطيتي . » و طارتِ الأعْطيةُ عائِدةً إلى سَريري ، فَقُلْتُ : « حَسَنًا ، وَ الآنَ سَأعُدُّ حَتَّى العَشَرةِ ، حَتَّى تَخْتَبِئَ . » ثُمَّ أدَرْتُ رأسي صَوْبَ الحائط ، وَ بَدأتُ أعُدُّ : « واحِدٌ ، إثْنانِ ، ثَلاثةٌ .. » كُنْتُ أعُدُّ بُطْءٍ ، و في أثْناءِ ذٰلك سمِعْتُ وَقْعَ خُطُواتٍ خلْفي ، بَلْ سمِعْتُ كُلَّ صُروبِ الأصْواتِ الخافتة ، ثُمَّ ساد الحُجْرة هُدوءٌ تامٌّ ، وَ استَدَرْتُ في مُواجَهةِ الحُجْرةِ .

كانَتِ الحُجْرةُ بِطَبيعةِ الحالِ خاليةً تمامًا مِنْ أيِّ شخْصٍ ، وَكانَ بُولْدي قَدِ اخْتبأ – مَثَلًا – تَحْتَ السَّريرِ أوِ الكُرْسيِّ أوْ في خِزانةِ الملابِسِ . غيْرَ أنَّ بُولْدي لَيْسَ إلَّا شبَحًا ، و في مقْدورِهِ الاخْتِباءُ في أيِّ مَكانٍ .. حَتَّى في داخِلِ أحَدِ جُيوبي !

قُلْتُ : « أنا قادِمٌ الآنَ لِأمْسِكَ بِكَ يابُولْدي . »

دهَبْتُ مُباشرةً إلى خِزانةِ المَلابِسِ ، وَ فتحْتُ بابَها بِبُطْءٍ ، و قَبْلَ أنْ يَفْتحَ البابُ تمامًا ، أدْخلْتُ يَدي بِحَذرٍ في الخِزانةِ ، خَشْيةَ أنْ يَعْصِيَ أوْ يصْفعَني بُولْدي ، وَ لٰكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ . وَ جَدبْتُ البابَ حَتَّى انْفتَحَ على مِصْراعَيْه ؛ فَتَسلَّلَ ضَوْءُ القَمَرِ إلى داخِلِ خِزانةِ المَلابِسِ ، فَكانَ بِاسْتِطاعَتي أنْ أرى مَلابِسي بِداخِلِها ، وَكانَ بِاسْتِطاعَتي أيْضًا – أنْ أرى فُسْتانَ جولي الحَميلَ .

تحسَّسْتُ جَميعَ مَلابِسي .. لا شَيْءَ ! لا بُدَّ أنَّهُ مُخْتَبِئٌ داخِلَ

مِعْطفي . أخْرجْتُ المِعْطَفَ مِنَ الخِزانةِ وَنفضْتُهُ ؛ وَ مرَّةً أُخْرى لا شَيْءَ ! صِحْتُ : « أيْنَ أنْتَ ؟ » و في دُعْرٍ شَديدٍ أخْرجْتُ ملابِسي ، القِطْعةَ بَعْدَ الأُخْرى ، أنْفُضُها ، ثُمَّ ألْقيها على أرْضيَّةِ حُجْرةِ نَوْمي ، وَ سُرْعانَ ما تجَمَّعَتْ كُلُّ مَلابِسي عَلى الأرْضيَّةِ . حَتَّى فُسْتانُ جولي كانَ على الأرْضيَّةِ أيْضًا .

كانَتْ خِزانةُ الملابِسِ خاليةً تمامًا ، و مع ذٰلك لا أثَرَ لِبُولْدي .

صِحْتُ : « أنْتَ تحْتَ السَّريرِ ! » وَ جثَوْتُ على الأرْضِ وَ زَحفْتُ تحْتَ السَّرير ، وَ تحسَّسْتُ الأرْضَ بيدي .. لا شَيْءَ هُناكَ . وَ جَلسْتُ في النِّهايةِ عَلى الكُرْسيِّ ، و انْتظرْتُ ، وَ كُنْتُ أشْعُرُ أنَّهُ بِالحُجْرة ، و لٰكِنَّني لَمْ أسْتَطِعِ العُثورَ عَلَيْه .

بَقِيتُ جالِسًا عَلى المَقْعَدِ لِفَتْرةٍ طَويلةٍ ، وَ شَعَرْتُ بِمَيْلٍ شَديدٍ لِلنَّوْمِ ، فَأغْمَضْتُ عَيْنَيَّ ، وَ عِنْدَما فَتحْتُهُما وَقعَتا عَلى سَريري ، و هُنا صحَوْتُ تمامًا . كانَ بُولْدي قَدْ ألْقى بِالأعْطيةِ على السَّرير مُنْذُ فتْرةٍ ، وكانَتِ الأعْطيةُ لاتزالُ في مَكانِها ، لٰكِنْ كانَ تحْتَها شَكْلُ شخْصٍ رفَعَ الغِطاءَ فَوْقَ رأسِهِ .

دهَبْتُ بِسُرْعةٍ إلى السَّريرِ ، وَ لَمسْتُ الأعْطيةَ ؛ فَتحَرَّكَ الشَّكْلُ تحْتَها ، تحرَّكَ كَشخْصٍ نائِمٍ . وَ لَمسْتُها مَرَّةً أُخْرى ، فَنفَضَ الشَّكْلُ الأعْطيةَ عَنْهُ . وَ لَمْ أسْتَطِعْ رُؤيةَ شَيْءٍ ، ولٰكِنِّي سمِعْتُ خُطًى سريعةً

في ٱتِّجاهِ ٱلجانِبِ ٱلآخَرِ لِلْحُجْرةِ . لَقَدْ كانَ بُولْدي مُخْتَبِئًا تَحْتَ ٱلأَغْطِيةِ .

صِحْتُ : « لَقَدْ أَمْسَكْتُ بِكَ وَ فُزْتُ ! إِذًا حانَ دَوْرِي ٱلآنَ لِلاخْتِباءِ ، وَ لا بُدَّ أَنْ تَعُدَّ حَتَّى ٱلعَشَرةِ ؛ حَتَّى أَتَمَكَّنَ مِنَ ٱلاخْتِباءِ . »

ٱنْتَظَرْتُ .. ثُمَّ سَمِعْتُ طَرْقًا آتِيًا مِنْ رُكْنِ ٱلحُجْرةِ . كانَ بُولْدي يَعُدُّ . طَرْقةً ، ثُمَّ أُخْرى ، ثُمَّ أُخْرى ، وَكُنْتُ أُفَكِّرُ .. أَيْنَ يُمْكِنُني ٱلاخْتِباءُ ؟ هُناكَ مَكانٌ واحِدٌ : تَحْتَ السَّرِيرِ . زَحَفْتُ تَحْتَهُ بِهُدوءٍ تامٍّ ، وَ سَكَنْتُ تَمامًا . ٱسْتَمَرَّتِ الطَّرَقاتُ ، وَكانَ هُناكَ عَشْرُ طَرَقاتٍ ، ثُمَّ صَمْتٌ تامٌّ .

حَبَسْتُ أَنْفاسي وَ أَرْهَفْتُ السَّمْعَ . صَمْتٌ تامٌّ ! نَظَرْتُ عَبْرَ أَرْضِيَّةِ

ٱلحُجْرةِ .. كُنْتُ أَرى ٱلمَلابِسَ ٱلَّتي أَلْقَيْتُها هُناكَ ، وَ بَدَأَتِ ٱلمَلابِسُ تَتَحَرَّكُ ! ثَمَّةَ شَخْصٌ يَنْتَقِطُها ، ثُمَّ يُلْقيها مَرَّةً أُخْرى ، قِطْعةً بَعْدَ قِطْعةٍ . كانَتِ ٱلقُمْصانُ تَطيرُ في ٱلهَواءِ ثُمَّ تَسْقُطُ . طارَتْ بَنْطَلوناتي ، مِعْطَفي ، وَ حُلَّتاي ، ثُمَّ سَقَطَتْ . لَمَعَ فُسْتانُ جولي في ضَوْءِ القَمَرِ ، ثُمَّ طارَ وَ سَقَطَ أَيْضًا . وَكانَ بُولْدي يَبْحَثُ عَنّي في جَميعِ ٱلمَلابِسِ بِعِنايةٍ .

فَجْأَةً قَطَعَ بُولْدي فَتْرةَ الصَّمْتِ ، وَ ٱفْتَحَ بابَ ٱلخِزانةِ بِشِدَّةٍ . كانَ يَدُقُّ عَلى ٱلخِزانةِ بِشِدَّةٍ ، حَتَّى إِنَّها كانَتْ تَرْتَجُّ ، ثُمَّ سَقَطَتْ وَ ٱرْتَطَمَتْ بِالأَرْضِ مُحْدِثةً صَوْتًا عالِيًا . مَرَّةً أُخْرى خَيَّمَ عَلى ٱلحُجْرةِ صَمْتٌ تامٌّ ، وَكُنْتُ أَحْبِسُ أَنْفاسي ، وَ أَسْمَعُ خُطُواتِهِ « ٱلعَرْجاءَ » تَتَحَرَّكُ مِنَ ٱلجانِبِ ٱلآخَرِ لِلْحُجْرةِ ، وَ تَقْتَرِبُ مِنَ السَّرِيرِ ، خُطْوةً ، خُطْوةً .. وَ بِبُطْءٍ شَديدٍ . كُنْتُ أُحاوِلُ أَلّا أَصْرُخَ . وَ تَوَقَّفَ بُولْدي بِجِوارِ سَريري . سَرَتْ في جِسْمي مَوْجةٌ مِنَ ٱلبَرْدِ ، فَشَيْءٌ ساقِيَّ ، وَ ٱلْتَصَقَتْهُما بِجِسْمي . لَمَسَ شَيْءٌ ساقَيَّ بِرِقَّةٍ ، فَلَمْ أَتَحَرَّكْ ، ثُمَّ لَمَسَ وَجْهي شَيْءٌ ، وَ شَعَرْتُ بِنَفَسٍ حارٍّ يَلْفَحُ وَجْهي ؛ فَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عالٍ ، وَ حاوَلْتُ أَنْ أَتَحَرَّكَ بَعيدًا عَنْهُ ؛ فَلَمْ أَسْتَطِعْ .

مَعْنى ٱلفَرَغُ مِنَ ٱلحَرَكةِ ، وَ إِذا بِبُولْدي يَرْفَعُ السَّرِيرَ بِأَكْمَلِهِ فَوْقَ رَأْسي وَ يُسْقِطُهُ فَوْقي . ٱرْتَطَمَ السَّرِيرُ بِالأَرْضِ مُحْدِثًا دَوِيًّا عالِيًا ، وَ لَكِنَّهُ

ثم يصيبني بأذى . رفعهُ بُولْدي ثانيةً ، حتى كادَ يُلامسُ السقْف فوْقي ، و نظرْتُ إلى السَّرير ، وَ الفزَعُ يمْلأُني ، ثُمَّ بدأَ السَّريرُ ينْزِلُ بُطْءٍ . وَ في إحْدى لحظاتِ الفزَعِ نهَضْتُ واقفًا ، و هَرْوَلْتُ نحْوَ الجانبِ الآخرِ لِلْحُجْرةِ ، وَ نظرْتُ إلى السَّريرِ الذي عاد إلى مكانِهِ على الأرْضِ بهُدوءٍ ، وَكانَ لا بُدَّ لي مِنَ الاخْتباءِ في مكانٍ ما . كانتْ خزانةُ الملابسِ تقْعُ أمامي على الأرْضِ ، فقلَبْتُها ، ثُمَّ قفَزْتُ بداخِلِها ، و أغْلقْتُ بابَها خلْفي ، وَ قبَعْتُ بداخِلِها ساكِنًا . بدَأَ بُولْدي يَنْقُرُ على بابِ خزانةِ الملابسِ ، وكانَ النَّقْرُ بادئَ الأمْرِ خفيفًا جدًّا ، ثُمَّ ارْتفعَ صوْتُهُ بالتَّدْريجِ فجْأةً انْفتحَ البابُ بشدَّةٍ ، وَ أمْسكَتْ بي يدانِ قويَّتانِ ، و رفعَتاني إلى أعْلى ، و ألْقتا بي على الفِراشِ . وكُنْتُ أصْرُخُ وأصيحُ ، إلّا أنّي لمْ أشْعُرْ بأيِّ آلامٍ ، وَ تسلَّلْتُ تحْتَ الغِطاءِ وَ انْتظَرْتُ .

و لأوَّلِ مرَّةٍ أسْمعُ صوْتَ بُولْدي . سمعْتُ ضحْكةً طويلةً شرِّيرةً ، وَكانَ هُناكَ شيْءٌ في صوْتِهِ ، سمِعْتُهُ مِنْ قبْلُ . و سرْعانَ ما امْتلأتِ الحُجْرةُ بالضَّحِكِ الصاخِبِ .

صِحْتُ فيهِ : « كُفَّ عنْ هٰذا ! كُفَّ عنْ هٰذا ! أرْجوكَ أنْ تكُفَّ عنْ هٰذا ! » وَ لٰكِنَّ الضَّحِكَ استمرَّ لِفترةٍ طويلةٍ ، ثُمَّ توقَّفَ .

مرَّتْ بعْدَ ذٰلِكَ فتْرةٌ طويلةٌ جدًّا مِنَ الصَّمْتِ ، وكانتْ لُعْبةُ : « أحْتِئُ

وَ ابْحثْ عنّي » قدْ وصلَتْ إلى نِهايتِها .

تساءلْتُ : « مادا هُوَ فاعِلٌ بعْدَ ذٰلِكَ ؟ » . وَ مرَّ نحْوُ نِصْفِ ساعةٍ ، و لمْ يحْدُثْ شيْءٌ .

سمِعْتُ بعْدَ ذٰلِكَ صوْتًا غريبًا . كانَ صوْتًا أشْبَهَ بأصابعَ تحْدِشُ الزُّجاجَ . أ كانَ بُولْدي يخْدِشُ زُجاجَ النَّوافِذِ ؟ وَ نظرْتُ إلى النَّوافِذِ مَلِيًّا . وكانَ بمقْدوري أنْ أراها بِوُضوحٍ في ضوْءِ القمَرِ ، وَ اكْتشفْتُ أنَّ الصوْتَ ليْسَ صادِرًا مِنَ النَّوافِذِ . وَ دارَ في خلَدي أنَّهُ لمْ يكُنْ هُناكَ زُجاجٌ آخرُ في الحُجْرةِ . و لٰكِنّي كُنْتُ مُخْطِئًا . كانتْ هُناكَ صُورةٌ لجولي مُعلَّقةٌ على الحائِطِ ! وَكانتِ الصُّورةُ خلْفَ لوْحٍ مِنَ الزُّجاجِ . أرْهفْتُ السَّمْعَ ، وَكانَ صوْتُ الخدْشِ مُسْتمِرًّا . نعَمْ كانَ صادِرًا مِنَ الصُّورةِ ، فنظَرْتُ إلَيْها مَلِيًّا . وَكانتِ الصُّورةُ لِوجْهِ جولي بالْحجْمِ الطَّبيعيِّ ، تُبْرِزُ نضارَتَها وَ جمالَها وَكانتْ تبْتسِمُ لي . وَ في ضوْءِ القمَرِ – بطبيعةِ الحالِ – بإمْكاني أنْ أراها بالتَّفْصيلِ ، غيْرَ أنّي كُنْتُ أعْرِفُ تِلْكَ الصُّورةَ تمامَ المعْرِفةِ ، فكانَ مِنَ السَّهْلِ أنْ أتخيَّلَ وَجْهَ جولي الجميلَ .

توقَّفَ الخدْشُ ، وَ تحرَّكَتِ الصُّورةُ بعيدًا عنِ الحائِطِ ، وَ طارَتْ بخِفَّةٍ نحْوي ، فنظَرْتُ في عيْنَيْ جولي ، وَنظَرَتْ هِيَ في عيْنَيَّ .

« أ هٰذِهِ أُنْتِ يا حولي ؟ هَلْ أُنْتِ الشَّبَحُ ؟ هَلْ أُنْتِ الَّتي تُطارِدينَي » ، جاءت الإجابةُ عنْ أَسْئِلَتي في شَكْلِ ضِحْكَةٍ شرِّيرةٍ . كانتْ لحولي دائِمًا – ضِحْكَةٌ ناعِمةٌ ، وَ لٰكِنَّني تَعَرَّفْتُ عَلى ضِحْكَتِها ، وَسَطَ هٰذِهِ الضَّحْكَةِ الشِّرِّيرةِ .

تعلَّقتِ الصُّورةُ في الهواءِ ، وَكانتْ تَبْعُدُ عَنِ الأَرْضِ خَمْسَ أَقْدامٍ ، وَ إذا بِشَيْءٍ عَجيبٍ يَحْدُثُ . تَحَرَّكَ فُسْتانُ حولي مُبْتَعِدًا عَنِ الأَرْضِ ، مُتَّجِهًا نَحْوَ الصُّورةِ ، وَ اتَّخَذَ مَكانَهُ في الحالِ تَحْتَ الصُّورةِ تمامًا ، ثُمَّ بدأَ يَرْقُصُ ، وكانَ يَرْقُصُ بِخِفَّةٍ و رشاقةٍ – كما كانتْ تَفْعَلُ حولي دائِمًا .

كانتِ الصُّورةُ تُمَثِّلُ رَأْسَ حولي ، وَكانَ الفُسْتانُ يُمَثِّلُ قوامَها ، وكانتْ حولي هِيَ الوَحيدةَ الَّتي يُمْكِنُ أَنْ تَرْقُصَ على هٰذا النَّحْوِ . وَ هٰكَذا عَرَفْتُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ – أَنَّ حولي وَ بُولْدي شَخْصٌ واحِدٌ !

كانتِ الرَّقْصَةُ دَليلًا واضِحًا ، فَلَمْ أُرِدْ فيما مضى – أَنْ أُصَدِّقَ أَنَّ بُولْدي هُوَ حولي ، وَ لٰكِنِّي الآنَ مُضْطَرٌّ إلى الرَّبْطِ بَيْنَهُما .

اَلفَصْلُ السّابِعُ

اَلْحَقيقَةُ

لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ بِالْحَقيقَةِ في هٰذِهِ اَلْقِصَّةِ ، لٰكِنَّها لَمْ تَكُنِ اَلْحَقيقَةَ بِأَكْمَلِها . لِمادا ؟ لِأَنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُقْنِعَ بِها نَفْسي ، فَكَيْفَ لي أَنْ أُقْنِعَكَ بِها ؟ لَقَدْ حاوَلْتُ أَنْ أَتَهَرَّبَ مِنَ اَلْحَقيقَةِ لِمُدَّةِ اِثْنَيْ عَشَرَ عامًا ، وَحانَ اَلْوَقْتُ لِلاعْتِرافِ بِها . وَ لَعَلَّكَ تَعْرِفُ اَلآنَ . نَعَمْ ، قَتَلْتُ جولي ! وَ أَرْجوكَ أَلّا تُسيءَ فَهْمي ، فَقَدْ قَتَلْتُها بِدافِعِ اَلْحُبِّ ، لا اَلْكَراهِيَةِ ، وَ اضْطُرِرْتُ لِقَتْلِها لِصالِحِها وَ خَيْرِها !

لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ جولي كانَتْ تُحِبُّني وَكُنْتُ أُحِبُّها ، وَ هٰذا صَحيحٌ وَ أَخْبَرْتُكَ أَنَّني وَ جولي كُنّا سَعيدَيْنِ ، وَ هٰذا صَحيحٌ أَيْضًا . وَ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ أَصْدِقائي كانوا يَغارونَ مِنّي ، وَ هٰذا صَحيحٌ كَذٰلِكَ . لٰكِنَّني لَمْ أُخْبِرْكَ بِأَمْرٍ واحِدٍ : كُنْتُ أَغارُ مِنْ أَصْدِقائي .

إِنَّكَ تَعْرِفُ اَلْكَثيرَ عَنّي ، تَعْرِفُ أَنَّني شَخْصٌ عادِيٌّ ، لا أُثيرُ اِنْتِباهَ أَحَدٍ ، وَ لا أَخْرُجُ كَثيرًا ، وَ لا أَرْقُصُ ، وَ لَيْسَ لَدَيَّ كَثيرٌ مِنَ اَلْأَصْدِقاءِ ، وَتَتَرَكَّزُ حَياتي كُلُّها في كُتُبي . غَيَّرْتُ جولي حَياتي عَلى مَدى اِثْنَيْ عَشَرَ عامًا عِشْناها مَعًا ، وَ مَلَأْتُ حَياتي بِالْأَصْدِقاءِ وَ الضَّحِكاتِ . إِذًا لِمَ قَتَلْتُها ؟ !

اِعْتَدْنا أَنْ نَخْرُجَ كَثيرًا مَعًا ، وَ اِعْتادَ اَلْأَصْدِقاءُ زِيارَتَنا كَثيرًا . وَكانَتْ جولي تَميلُ إِلى صُحْبَتي ، لٰكِنَّها كانَتْ تَميلُ أَيْضًا إِلى صُحْبَةِ اَلْآخَرينَ .

كُنْتُ أُريدُ جولي لِنَفْسي ، لي وَحْدي . كُنْتُ دائِمًا وَحيدًا أَثْناءَ اَلْحَفَلاتِ ، وَكانَ اَلشَّبابُ دائِمًا يَلْتَفّونَ حَوْلَ جولي ، وَ يَرْقُصونَ دائِمًا مَعَها وَكانَتْ تَسْتَمْتِعُ بِصُحْبَتِهِمْ .

كانَتْ جولي بِطَبيعَةِ اَلْحالِ مُخْلِصَةً لي ، وَكُنْتُ مُخْلِصًا لَها ، إِلّا أَنَّ هٰذا لَمْ يَكُنْ لِيَكْفِيَني .. كُنْتُ لا أُريدُها أَنْ تَتَحَدَّثَ مَعَ اَلرِّجالِ اَلْآخَرينَ ، أَوْ تُراقِصَهُمْ . كُنْتُ أُريدُها مَعي طَوالَ اَلْوَقْتِ ، وَكُنْتُ أَمْتَلِئُ غَيْرَةً حينَ أَرى اَلرِّجالَ يَلْتَفّونَ حَوْلَها . وَ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَكَّمَ أَوْ أُسَيْطِرَ عَلى غَيْرَتي . وَ ذاتَ يَوْمٍ ناقَشْتُها في اَلْأَمْرِ ، وَ لا أَذْكُرُ اَلآنَ – تَمامًا – اَلْكَلِماتِ اَلَّتي تَبادَلْناها ، لٰكِنَّها كانَتْ أَقْرَبَ إِلى اَلشَّكْلِ اَلآتي :

قالَتْ جولي : « اِرْتَدِ حُلَّتَكَ يا وِلْيَم ، سَنَخْرُجُ اَللَّيْلَةَ . »

أَجَبْتُ : « لا أَرْغَبُ في اَلْخُروجِ . »

قالَتْ . « لا تَكُنْ سَخيفًا يا وِلْيَم ، سَنَخْرُجُ بِكُلِّ تَأْكيدٍ . »

قُلْتُ : « وَ لٰكِنَّني أُريدُ اَلْبَقاءَ هُنا . »

قالَتْ : « أَنْتَ تُريدُ دائِمًا اَلْبَقاءَ بِالْبَيْتِ ، إِنَّني أَعْرِفُ أَنَّكَ تُريدُ اَلْعَمَلَ في مُؤَلَّفاتِكَ ، وَ لٰكِنْ لا بُدَّ أَنْ نَسْتَمْتِعَ بِالْحَياةِ أَيْضًا . »

قُلْتُ : « وَ لٰكِنّي لا أُحِبُّ ٱلاخْتِلاطَ مَعَ كثيرٍ مِنَ النّاسِ ، أُريدُ فقطْ أَنْ أَكونَ مَعَكِ . »

قالَتْ جولي – بِرِقَّةٍ – : « أَنْتَ ثَغارٌ يا وِلْيَم ! »

كانَ لا بُدَّ لي مِنَ الاعْتِرافِ بِذٰلِكَ ، فَقُلْتُ : « أَعْلَمُ أَنّي كَذٰلِكَ . »

قالَتْ : « لَسْتَ في حاجةٍ لِأَنْ تَغارَ ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّني أُحِبُّكَ . »

« نَعَمْ ، أَعْلَمُ ذٰلِكَ تَمامًا . »

قالَتْ جولي : « شَخْصِيَّتُكَ تَخْتَلِفُ تَمامًا عَنْ شَخْصِيَّتي . أَنا في حاجةٍ لِكَثيرٍ مِنَ النّاسِ حَوْلي ، وَ لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَبْقى وَحْدي مَعَكَ في هٰذا ٱلبَيْتِ طَوالَ ٱلوَقْتِ . »

قُلْتُ : « أَخْشى أَنْ أَفْقِدَكِ . »

قالَتْ جولي : « لا تَخَفْ ، فَلَنْ يَحْدُثَ ذٰلِكَ أَبَدًا . لَنْ تَفْقِدَني ، فَأَنا أُحِبُّكَ ، أَنا زَوْجَتُكَ . »

قُلْتُ : « أَتَمَنّى أَنْ تَكوني زَوْجَتي لِلأَبَدِ . »

أَجابَتْ جولي : « سَيَكونُ ذٰلِكَ . »

كانَتْ تَقولُ الصِّدْقَ ، غَيْرَ أَنّي كُنْتُ لا أَزالُ غَيورًا ، وَ مَعَ مُرورِ ٱلوَقْتِ ازْدادَتْ غَيْرَتي ، وَ لَمْ أَتَمَكَّنْ مِنَ السَّيْطَرَةِ عَلَيْها .

ثُمَّ حَدَثَ شَيْءٌ .. لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ عَنْهُ قَبْلًا ، مَرِضَتْ جولي ، وَ ٱشْتَدَّ مَرَضُها . وَ قَدْ حَكَيْتُ لَكَ مِنْ قَبْلُ كَيْفَ أَنّي ٱسْتَدْعَيْتُ أَفْضَلَ ٱلأَطِبّاءِ ، وَ هٰذا صَحيحٌ .

قالَ لي أَحَدُهُمْ : « زَوْجَتُكَ مَريضَةٌ جِدًّا ، وَ قَلْبُها ضَعيفٌ ، وَ عَلَيْكَ ٱلحِرْصُ ، فَقَدْ تَمُوتُ في أَيِّ وَقْتٍ . »

كُنْتُ أُريدُها لي وَحْدي لِلأَبَدِ ، وَ إِذا بِفِكْرَةٍ شِرِّيرَةٍ تَطْرَأُ عَلى ذِهْني . « يُمْكِنُني أَنْ أَقْتُلَ جولي ؛ وَ بِذٰلِكَ أَحْتَفِظُ بِها لِنَفْسي دائِمًا ، وَ لَنْ أُعادِرَ ٱلبَيْتَ بَعْدَ ذٰلِكَ ، وَ سَتَكونُ دائِمًا مَعي . »

فَكَّرْتُ في ذٰلِكَ كَثيرًا ، وَ ٱنْتَهَيْتُ إِلى أَنّي لا بُدَّ أَنْ أَقْتُلَها ، وَ لِهٰذا ٱلسَّبَبِ لَمْ أَبْحَثْ عَنْ زَوْجَةٍ أُخْرى بَعْدَ جولي ، فَهِيَ مَعي طَوالَ ٱلوَقْتِ . لَدَيَّ صُوَرُها ، وَ لَدَيَّ ذِكْراها . لَمْ أَعُدْ غَيورًا ، فَلَيْسَ مِنْ سَبَبٍ ٱلآنَ يَدْعو إِلى ذٰلِكَ . »

و في إحْدى اللَّيالي ، اِسْتَلْقَتْ حولي في ٱلفِراشِ بِجواري وَ هي مَريضةٌ حدًّا . كانَتْ تَتَنَفَّسُ بِهُدوءٍ ، وَ لٰكِنْ لَمْ تَكُنْ نائِمةً .. بَدَأْتُ أُكَلِّمُها .

هَمَسْتُ : « حولي ، أُريدُكِ لي وَحْدي لِلأَبَدِ ، أَنْتِ تُحِبِّيني وَ أنا أُحِبُّكِ ، وَ هٰذا هُوَ سِرُّ سَعادَتِنا . »

هَمَسَتْ : « نَعَمْ ، هٰذا سِرُّنا . »

قُلْتُ : « سَتَبْقَيْنَ دائِمًا مَعي في هٰذا ٱلبَيْتِ . »

هَمَسَتْ : « أَجَلْ . »

قُمْتُ بَعْدَ ذٰلِكَ بِوَضْعِ وِسادَتي بِخِفَّةٍ فَوْقَ وَجْهِها ، وَ أَبْقَيْتُها كَذٰلِكَ لِمُدَّةٍ طَويلةٍ . وَ حاوَلَتْ أَنْ تَبْتَعِدَ ، وَ لٰكِنَّها لَمْ تَتَمَكَّنْ .. فَقَدْ كانَتْ ضَعيفةً جِدًّا . وَكُنْتُ أَسْمَعُ صَرَخاتِها ٱلمَكْتومةَ ، وَ مَعَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْفَعْ عَنْها ٱلوِسادةَ ، وَ أَخيرًا تَوَقَّفَ قَلْبُها ، وَ فارَقَتِ ٱلحَياةَ .

بَعْدَ مَوْتِها قُلْتُ : « هٰذا هُوَ سِرُّنا ، أَنْتِ ٱلآنَ لي وَحْدي لِلأَبَـدِ . »

إِتَّصَلْتُ بِالطَّبيبِ – هاتِفيًّا – في ٱلحالِ ، وَ أَخْبَرْتُهُ أَنَّ جولي لا تَتَنَفَّسُ بِطَريقةٍ طَبيعِيَّةٍ . وَ جاءَ الطَّبيبُ بِسُرْعةٍ ، وَ لٰكِنْ بِالطَّبْعِ كانَتْ جولي قَدْ فارَقَتِ ٱلحَياةَ .

قال الطَّبيبُ : « إِنَّني لَآسِفٌ أَنْ أُخْبِرَكَ أَنَّ زَوْجَتَكَ ماتَتْ . لَقَدْ تَوَقَّف

قَلْبُها . ماتَتْ مُنْذُ فَتْرةٍ قَصيرةٍ ، وَ لَعَلَّها ماتَتْ أَثْناءَ نَوْمِها . »

بَكَيْتُ كَثيرًا ، وَ لٰكِنَّني – في صَميمِ قَلْبي – كُنْتُ سَعيدًا ، كُنْتُ سَعيدًا لِأَنَّ جولي أَصْبَحَتْ لي وَحْدي لِلأَبَدِ .

و ٱلْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ الثُّلاثاءِ ، الثّاني و ٱلعِشْرون مِنْ شَهْرِ يَناير . في مِثْلِ هٰذا ٱلْيَوْمِ ، مُنْذُ اثْنَـيْ عَشَرَ عامًا ، قَتَلْتُ حَبيبَتي جولي .

اَلفَصْلُ الثّامِنُ

أَحْداثُ لَيْلَةِ الإِثْنَيْن

تَوَقَّفْتُ عَنْ سَرْدِ حِكايَتي لِأَنَّني كُنْتُ أُريدُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِالحَقيقَةِ قَدْ تَعْتَقِدُ أَنَّني مَجْنونٌ ، أَعْرِفُ ذٰلِكَ ، وَ لَعَلَّني مَجْنونٌ بِالفِعْلِ . فَقَدْ تَعايَشْتُ مَعَ هٰذا السِّرِّ اثْنَتَيْ عَشْرَ عامًا : أَنا سَفّاحٌ . لَقَدْ قَتَلْتُ زَوْجَتي ، وَ مُنْذُ ذٰلِكَ الوَقْتِ وَ مَنْزِلي أَصْبَحَ مَسْكونًا بِالأَشْباحِ . وَ لَمْ أُدْرِكِ الحَقيقَةَ إِلّا اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ وَ بَعْدَ مُرورِ اثْنَتَيْ عَشْرَ عامًا .

لَمْ يَكُنْ شَبَحُ حُجْرَةِ نَوْمي شَبَحًا لَعوبًا ، يَهْوى الصَّخَبَ . وَ هُوَ لايَدَّعي بُولْدي . إِنَّهُ شَبَحُ زَوْجَتي العَزيزَةِ جولي . وَكانَ شَبَحًا لَعوبًا أَوَّلَ الأَمْرِ ، غَيْرَ أَنَّهُ الآنَ أَصْبَحَ شَبَحًا غَيورًا وَ شِرّيرًا - كَما كُنْتُ أَنا مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَ عامًا .

فَجْأَةً رَأَيْتُ جولي لَيْلَةَ أَمْسِ « حَيَّةً » مَرَّةً أُخرى ، كانَ « رَأْسُها » الصُّورَةَ ، « وَ جَسَدُها » الفُسْتانَ ، وَكانَتْ تَدورُ في الحُجْرَةِ راقِصَةً . نَعَمْ ، كَمْ كانَ رَقْصُها جَميلًا ! وَكانَ فُسْتانُها الحَميلُ يَلْمَعُ في ضَوْءِ القَمَرِ . كُنْتُ أَجْلِسُ في الفِراشِ وَ أُشاهِدُها ، وَ نَسيتُ لُعْبَتَنا ، وَ لَمْ أَكُنْ أُفَكِّرُ إِلّا في جولي « حَيَّةً » مَرَّةً أُخرى بَعْدَ كُلِّ هٰذِهِ السَّنَواتِ !

كُنْتُ أُحَدِّثُ نَفْسي : « لَيْسَ هٰذا مَعْقولًا ، وَ لا يُمْكِنُ أَنْ أُصَدِّقَهُ . »

اِسْتَمَرَّتْ جولي تَرْقُصُ وَ تَرْقُصُ ، وَكُنْتُ أَسْتَمِعُ إِلى آلموسيقى تَصْدَحُ في رَأْسي ، وَ إِذا بي — فَجْأَةً — في حَفْلَةٍ . اِمْتَلأَتِ آلحُجْرَةُ بِالصَّوْضاءِ وَ الصَّخَبِ وَ الضَّحِكاتِ ، كانَ الشَّبابُ يَنْتَشِرونَ في جَميعِ أَرْكانِ آلحُجْرَةِ . وَكانَتْ حَبيبَتي جولي تَرْقُصُ عَلى أَنْغامِ آلموسيقى ، وَكانَ الشَّبابُ يُتابِعونَها بِنَظَراتِهِمْ ، ثُمَّ يَرْمُقونَني بِنَظَراتِهِمْ وَ يَضْحَكونَ . وَ بَيْنَما كانوا يَضْحَكونَ وَ يَسْخَرونَ مِنّي امْتَلأْتُ غَضَبًا وَ غَيْرَةً ، وَ امْتَلأَ فِكْري بِالشَّرِّ .

صِحْتُ في الشَّبابِ : « اُغْرُبوا عَنْ وَجْهي ! جولي لي وَحْدي ، لي أَنا وَحْدي ! أَلا تَفْهَمونَ ؟ » بَدَأَتْ ضَحِكاتُ الشَّبابِ تَعْلو ، وَ تَعْلو ، وَ ازْدادَ غَضَبي شَيْئًا فَشَيْئًا . وَ قَفَزْتُ مِنَ آلفِراشِ ، وَ جَرَيْتُ نَحْوَ الشَّبَحِ الرّاقِصِ ، وَ آلموسيقى لاتَزالُ تَصْدَحُ في رَأْسي ، وَكانَ الشَّبابُ لا يَزالونَ يَرْمُقونَني بِنَظَراتِهِمْ وَ يَسْخَرونَ مِنّي . رَفَعْتُ مَقْعَدًا إِلى أَعْلى وَ انْهَلْتُ بِهِ عَلى الشَّبابِ ضَرْبًا ، ثُمَّ عَلى الشَّبَحِ الرّاقِصِ . ضَرَبْتُ آلفُسْتانَ آلحَميلَ ، في حِينَ كانَ يَدورُ في آلحُجْرَةِ . وَ فَجْأَةً تَوَقَّفَ صَوْتُ آلموسيقى في رَأْسي ، وَ تَوَقَّفَ الرَّقْصُ ، وَ اخْتَفى الشَّبابُ مِنَ آلحُجْرَةِ ، وَ تَحَوَّلَتْ وُجوهُهُمْ إِلى ظِلالٍ ثُمَّ تلاشَتْ تَمامًا ، وَ تَوَقَّفَتْ ضَحِكاتُهُمْ .

اِنْهَلْتُ — مَرَّةً أُخْرى — بِالضَّرْبِ عَلى آلفُسْتانِ ، وَ لَمْ أُصَوِّبْ ضَرَباتي إِلى الصُّورَةِ ، بَلْ إِلى آلفُسْتانِ فَقَطْ . وَ ارْتَجَفَ آلفُسْتانُ ، ثُمَّ تَهاوى بِبُطْءٍ عَلى آلأَرْضِ . وَكانَتِ الصُّورَةُ لا تَزالُ في مَكانِها عَلى قِمَّةِ آلفُسْتانِ . وَ سَقَطَتِ الصُّورَةُ وَ آلفُسْتانُ عَلى آلأَرْضِ . وَكانَتْ عَيْنا جولي آلباسِمَتانِ تَتَطَلَّعانِ إِلَيَّ ، وَ هَمَسْتُ : « لَقَدْ رَحَلوا جَميعًا . أَنْتِ آلآنَ لي وَحْدي .. كِيانُكِ كُلُّهُ لي وَحْدي . »

وَقَفْتُ بِجِوارِ آلفُسْتانِ وَ تَطَلَّعْتُ إِلَيْهِ لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ ، وَ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ : لَمْ يَتَحَرَّكْ . قُمْتُ بِلَمْسِهِ ، وَكانَ فُسْتانًا حَقيقِيًّا . وَ لَمَسْتُ الصُّورَةَ ، وَكانَتْ حَقيقِيَّةً أَيْضًا .

كانَتْ عَيْنا جولي تَبْتَسِمانِ لي مِنْ خَلْفِ الزُّجاجِ ، فَخاطَبْتُ الصُّورَةَ قائِلًا : « أُريدُكِ لي وَحْدي لِلأَبَدِ . » ثُمَّ رَجَعْتُ إِلى آلفِراشِ ، وَ أَحْضَرْتُ وِسادَةً ، وَ رَجَعْتُ إِلى آلفُسْتانِ الَّذي كانَ عَلى آلأَرْضِ . وَضَعْتُ آلوِسادَةَ عَلى الصُّورَةِ ، وَ أَبْقَيْتُها في هٰذا آلوَضْعِ لِمُدَّةٍ طَويلَةٍ . وَ حاوَلَ آلفُسْتانُ أَنْ يُفْلِتَ ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ ، وَ صَدَرَتْ عَنِ الصُّورَةِ صَيْحاتٌ مَكْتومَةٌ . وَفي النِّهايَةِ سَكَنَ آلفُسْتانُ . وَ ابْتَسَمْتُ لِنَفْسي .. لَقَدْ قَتَلْتُ جولي لِلْمَرَّةِ الثّانِيَةِ . وَ انْفَجَرْتُ ضاحِكًا بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ .

فَجْأَةً صَدَرَتْ عَنِ الصُّورَةِ صَرْخَةٌ مُدَوِّيَةٌ .. ثُمَّ صَرْخاتٌ ،

فتراجعتُ – فائزًا – في هَلَعٍ . وَ تَوَقَّفَتِ الصَّرْخاتُ ، وَ بَدَأَتْ صورةُ جولي تَتَغَيَّرُ .. لَمْ تَكُنْ تَبْتَسِمُ ، بَلْ كانَتْ تَبْكي . وَ لَمَسْتُ زُجاجَ الصُّورةِ ، وَكانَ مُبَلَّلًا ، ثُمَّ انْفَلَتَتِ الصُّورةُ مِنْ يَدَيَّ . نَهَضْتُ واقِفًا ، وَ بَدَأَتِ الصُّورةُ تَرْتَفِعُ بِبُطْءٍ بَعيدًا عَنِ الأَرْضِ ، وَ تَحَرَّكَتْ نَحْوي ، ثُمَّ تَوَقَّفَتْ أَمامَ وَجْهي ، ثُمَّ سَقَطَتْ عَلى الأَرْضِ وَ تَكَسَّرَ زُجاجُها إِلى أَلْفِ قِطْعَةٍ . وَكانَتْ هُناكَ يَدٌ تُمَزِّقُ الصُّورةَ إِلى قِطَعٍ صَغيرةٍ مُزِّقَتِ الشَّعْرَ وَ الْعَيْنَيْنِ وَ الأَنْفَ وَ الْفَمَ . وَ سُرْعانَ ما كانَتْ قِطَعُ الْوَرَقِ الصَّغيرةُ تُغَطّي الأَرْضَ حَوْلَ الْفُسْتانِ ، ثُمَّ هَبَّتْ رِياحٌ عاتِيَةٌ في الْحُجْرةِ ، دَفَعَتْ بِالْفُسْتانِ عَبْرَ أَرْضِيَّةِ الْحُجْرةِ ، وَ دَفَعَتْ بِقِطَعِ الْوَرَقِ الصَّغيرةِ إِلى جَميعِ أَرْجاءِ الْحُجْرةِ ؛ فَطارَتْ ، ثُمَّ نَزَلَتْ بِبُطْءٍ إِلى الأَرْضِ كَقِطَعِ الثَّلْجِ ، ثُمَّ تَوَقَّفَتِ الرِّياحُ .

كانَ الشَّبَحُ لايَزالُ في الْحُجْرةِ ، وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِذٰلِكَ . وَ قُلْتُ في نَفْسي : إِنَّ اللُّعْبَةَ قَدِ انْتَهَتْ ، إِذًا يَجِبُ أَنْ أَرْجِعَ إِلى السَّريرِ وَ أَضَعَ الْقابِسَ في الْمَقْبِسِ . لَقَدْ نِلْتُ كِفايَتي مِنْ هٰذِهِ اللُّعْبَةِ . وَ الْتَقَطْتُ الْوِسادَةَ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ، ثُمَّ تَوَجَّهْتُ إِلى السَّريرِ .

كُنْتُ مُتْعَبًا لِلْغايَةِ وَ أَميلُ لِلنَّوْمِ ؛ فَمِلْتُ بِجِسْمي عَلى جانِبِ السَّريرِ ، وَ بَحَثْتُ عَنِ الْقابِسِ . سَأَصْرِفُ الشَّبَحَ ، ثُمَّ أَسْتَسْلِمُ لِلنَّوْمِ . وَ لَمَسْتُ

الْقابِسَ ، وَ لٰكِنْ في اللَّحْظَةِ الَّتي لَمَسْتُهُ فيها سَمِعْتُ ضِحْكَةً شِرِّيرةً ، فَأَدْرَكْتُ أَنَّ اللُّعْبَةَ لَمْ تَنْتَهِ بَعْدُ !

انْزَلَقَ الْقابِسُ مِنْ يَدي ، وَ حاوَلْتُ أَنْ أُحِدَّهُ ثانِيَةً ، إِلَّا أَنَّهُ كانَ في كُلِّ مَرَّةٍ أَصِلُ إِلَيْهِ يَتَحَرَّكُ مُبْتَعِدًا ، فَقَبَضْتُ عَلى السِّلْكِ وَ « تَتَبَّعْتُهُ » بِأَصابِعي حَتّى وَصَلْتُ إِلى الْقابِسِ ، غَيْرَ أَنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ رَفْعَهُ . كانَ يَتَحَرَّكُ عَبْرَ الأَرْضِيَّةِ ، فَتَرَكْتُ الْفِراشَ ، وَ جَلَسْتُ عَلى الأَرْضِ مُسْتَنِدًا عَلى رُكْبَتَيَّ صَوْبَ الْقابِسِ ، إِلَّا أَنَّهُ تَحَرَّكَ مُبْتَعِدًا عِنْدَما وَصَلْتُ إِلَيْهِ . وَ اسْتَمَرَّتِ الضِّحْكَةُ الشِّرِّيرةُ ، فَقُلْتُ مُتَوَسِّلًا : « أَرْجوكِ يا جولي ، أَرْجوكِ أَنْ تُعْطِيَني الْقابِسَ . » وَ تَقَدَّمَ الْقابِسُ نَحْوي ، وَ تَراقَصَ أَمامَ عَيْنَيَّ ، وَ لٰكِنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ لَمْسَهُ ، فَقُلْتُ : « لَنْ أَلْعَبَ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ ، وَ سَأُغادِرُ الْحُجْرةَ . »

حاوَلْتُ أَنْ أَفْتَحَ الْبابَ ، وَ لٰكِنَّني أَخْفَقْتُ ، وَ أَخَذْتُ أَدُقُّ عَلى الْبابِ بِكِلْتا يَدَيَّ ، وَكُنْتُ أَدْفَعُهُ ثُمَّ أَجْذِبُهُ . لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَفْتَحَهُ ! كُنْتُ سَجينًا في حُجْرَتي ، فَأَخَذْتُ أَصيحُ : « إِلى أَيْنَ أَذْهَبُ ؟ ماذا أَفْعَلُ ؟ أَنا الآنَ سَجينُكِ ، أَتَوَسَّلُ إِلَيْكِ أَنْ تَدَعيني أَذْهَبُ .. أَرْجوكِ ! أَتَوَسَّلُ إِلَيْكِ ! »

تَوَقَّفَ الضَّحِكُ الشِّرِّيرُ ، وَ سادَ الصَّمْتُ الْحُجْرةَ ، ثُمَّ بَدَأَ شَيْءٌ ما يَدُقُّ بِخِفَّةٍ عَلى النّافِذةِ . سَمِعْتُ بَعْدَ ذٰلِكَ صَوْتًا يَخْدِشُ الزُّجاجَ ، كَأَنَّ

أظافِرَ تَخْدِشُهُ ، وَ لَمْ يَكُنْ زُجاجَ صورةٍ حولي . أُرْهِفْتُ السَّمْعَ ثانِيَةً ، وَكانَ الصَّوْتُ صادِرًا عَنِ النّافِذةِ ؛ فَتَوَجَّهْتُ إِلَيْها ، وَ نَظَرْتُ خارِجَها .. كانَ هُناكَ وَجْهٌ عِنْدَ النّافِذةِ .. لَيْسَ لِجولي ، و لا لِأَيِّ شَخْصٍ ، بَلْ كانَ وَجْهَ قِطَّةٍ !

كانَتِ ٱلقِطَّةُ قَدْ قَفَزَتْ إلى النّافذة ، وَ وَقَفَتْ خارِجَها ، وَكانَتْ تُنَظِّرُ إلى داخِلِ حُجْرَتي . لَمْ تَكُنِ ٱلقِطَّةَ السَّوْداءَ نَفْسَها الَّتي رَأَيْتُها في الصَّباحِ ، وَ إِنَّما كانَتْ قِطَّةً بَيْضاءَ . لَقَدْ رَأَيْتُ هٰذِهِ ٱلقِطَّةَ مِنْ قَبْلُ في مَكانٍ مّا ، لٰكِنْ أَيْنَ ؟ حاوَلْتُ أَنْ أُرَكِّزَ تَفْكيري ، وَ تَذَكَّرْتُ فَجْأَةً كانَتْ قِطَّةٌ حولي بِالطَّبْعِ :

لَقَدْ كانَتْ حولي تُحِبُّ ٱلحَيَواناتِ ، وَكانَتْ لَها قِطَّةٌ كَهٰذِهِ في حَياتِها . قِطَّةٌ بَيْضاءُ جَميلَةٌ .

وَ عِنْدَما ماتَتْ جولي أَعْني بَعْدَ أَنْ قَتَلَتْها ٱخْتَفَتِ ٱلقِطَّةُ .. لَمْ أَرَها بَعْدَ ذٰلِكَ قَطُّ ، وَلٰكِنَّها رَجَعَتِ ٱلآنَ . نَظَرْتُ مِنْ خِلالِ النّافِذةِ ، وَكانَ وَجْهُ ٱلقِطَّةِ مُلاصِقًا لِوَجْهي ، وَ لا شَيْءَ يَفْصِلُ بَيْنَنا غَيْرُ الزُّجاجِ . وَكانَتْ عَيْنا ٱلقِطَّةِ حَمْراوَيْنِ وَ غاضِبَتَيْنِ ، وَ أَخَذَتِ ٱلقِطَّةُ تَخْدِشُ الزُّجاجَ بِحُنونٍ ، فَطَرَقْتُ عَلى الزُّجاجِ مِنَ الدّاخِلِ ؛ وَ لٰكِنَّها لَمْ تَبْتَعِدْ ، بَلْ بَدَأَتْ في ٱلبُكاءِ مِثْلَ طِفْلَةٍ صَغيرَةٍ ، وَ صَرَخْتُ : « كُفّي عَنْ ذٰلِكَ ! كُفّي ! »

خَرَيْتُ نَحْوَ بابِ حُجْرَةِ النَّوْمِ ، وَ حاوَلْتُ أَنْ أَفْتَحَهُ وَ مَرَّةً أُخْرى لَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلمُمْكِنِ فَتْحُهُ ، وَكانَتِ ٱلقِطَّةُ مُسْتَمِرَّةً في بُكائِها خارِجَ النّافِذةِ .

وَ فَجْأَةً تَمَلَّكَتْني رَغْبَةٌ حامِيَةٌ في قَتْلِها . وَ نَظَرْتُ في ٱلحُجْرَةِ ، مُحاوِلًا أَنْ أَجِدَ شَيْئًا . وَ تَمَلَّكَني ٱلغَضَبُ إلى دَرَجَةِ ٱلجُنونِ . وَكانَتْ حِزانَةُ ٱلمَلابِسِ لا تَزالُ مُلْقاةً عَلى ٱلأَرْضِ ، وَ قَدِ ٱنْفَصَلَتْ عَنْها بَعْضُ قِطَعِها ، فَٱلْتَقَطْتُ قِطْعَةً سَميكَةً مِنَ ٱلخَشَبِ وَ جَرَيْتُ نَحْوَ النّافِذةِ .

تَصَنَّعَتِ ٱلقِطَّةُ إِلَيَّ بِعَيْنَيْنِ حَمْراوَيْنِ ، وَ بَدَأَتْ تَبْكي بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ ؛ فَطَرَقْتُ النّافِذةَ بِقِطْعَةِ ٱلخَشَبِ بِشِدَّةٍ ، فَتَهَشَّمَ الزُّجاجُ إلى قِطَعٍ صَغيرَةٍ جِدًّا .

ضَحِكْتُ وَ شَعَرْتُ بِالسَّعادَةِ ، ثُمَّ نَظَرْتُ مِنْ خِلالِ النّافِذةِ ٱلمَكْسورَةِ ، وَ لٰكِنْ لَمْ أَرَ شَيْئًا . فَلا قِطَّةَ وَ لا صَوْتَ وَلا أَيَّ شَيْءٍ ! مُذْهِلٌ ، لَقَدِ ٱنْصَرَفَتْ !

رُبَّما لَمْ تَكُنْ هُناكَ قَطُّ ، رُبَّما كانَتْ مُجَرَّدَ تَخَيُّلاتٍ .. لا بُدَّ لي مِنْ ضَبْطِ النَّفْسِ . إِنَّني أَتَخَيَّلُ ٱلأَشْياءَ !

وَلٰكِنَّني في ٱلواقِعِ لَمْ أَكُنْ أَتَخَيَّلُ ٱلأَشْياءَ ، لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا حَلْقي ، فَقَفَزْتُ مَذْعورًا .. كانَ الصَّوْتُ لِطِفْلَةٍ صَغيرَةٍ ، فَٱسْتَدَرْتُ — فَزِعًا —

وَ رَأَيْتُها .. ٱلقِطَّةَ ٱلبَيْضاءَ ! كانَتْ تَرْنو إِلَـيَّ ، وَكانَتِ الدِّماءُ تُغَطّي وَجْهَها ! نَظَرْتُ إلى يَدَيَّ .. كانَتا مُلَطَّختَيْنِ بِالدِّماءِ أَيْضًا ! كُنْتُ ما زِلْتُ مُمْسِكًا بِقِطْعَةِ ٱلخَشَبِ ، وَ صَرَخْتُ بِأَعْلى صَوْتي في ٱلقِطَّةِ : « إِذًا أَنْتِ ما زِلْتِ حَيَّةً ! » وَ حَرَيْتُ نَحْوَها مُحاوِلًا ضَرْبَها مَرَّةً أُخْرى ، وَكانَتْ خُطُواتي تَدُقُّ بِشِدَّةٍ عَلى ٱلأَرْضِ . ضَرَبْتُ ٱلقِطَّةَ فَوْقَ رَأْسِها ، ثُمَّ حاوَلْتُ أَنْ أُعيدَ ٱلكَرَّةَ ، وَ لٰكِنَّها اخْتَفَتْ ! ثُمَّ ظَهَرَتْ ثانِيَةً في رُكْنٍ آخَرَ مِنَ ٱلحُجْرَةِ ، وَكانَتْ تَنْظُرُ إِلَـيَّ بِعَيْنَيْها ٱلحَمْراوَيْنِ . وَ حَرَيْتُ خَلْفَها وَ حاوَلْتُ أَنْ أُسَدِّدَ إِلَيْها الضَّرَباتِ ، وَ لٰكِنَّ ٱلقِطَّةَ كانَتْ تَخْتَفي في كُلِّ مَرَّةٍ . وَ عِنْدَ ظُهورِها – في كُلِّ مَرَّةٍ – كانَتْ تَبْدو مُلَطَّخَةً بِالدِّماءِ .

وَ سُرْعانَ ما غَطَّتِ الدِّماءُ جِسْمَها كُلَّهُ ، وَ لٰكِنَّها مَعَ ذٰلِكَ كانَتْ تَظْهَرُ لي مَرَّةً تِلْوَ ٱلأُخْرى ، مَرَّةً هُنا ، وَ مَرَّةً هُناكَ ! مَرَّةً أَمامي ، وَ مَرَّةً خَلْفي ! أَحْيانًا عَلى ٱلأَرْضِ ، وَ أَحْيانًا – أُخْرى عَلى السَّرير ! بَلْ وَ أَحْيانًا في ٱلهَواءِ ! تَوَقَّفَ ٱلبُكاءُ أَخيرًا . وَ اخْتَفَتِ ٱلقِطَّةُ وَ لَمْ تَعُدْ .

فَكَّرْتُ . أَيُمْكِنُ أَنْ تَكونَ كُلُّ هٰذِهِ ٱلأَشْياءِ قَدْ حَدَثَتْ في مُخَيِّلَتي فَقَطْ ، وَ أَنَّها تَخَيُّلاتٌ ؟ مُجَرَّدُ تَخَيُّلاتٍ ؟ !

لا بُدَّ لي إِذًا مِنْ أَنْ أَتَحَكَّمَ في أَعْصابي . نَعَمْ ، لا بُدَّ مِنْ ذٰلِكَ . تَذَكَّرْتُ ٱلقابِسَ . كُنْتُ أَبْحَثُ عَنِ ٱلقابِسِ .. لا بُدَّ أَنْ أَجِدَهُ . إِنَّني سَجينٌ في حُجْرَتي ، وَالشَّبَحُ يَحْتالُ عَلَـيَّ ، فَإِنْ تَمَكَّنْتُ مِنَ ٱلعُثورِ عَلى ٱلقابِسِ ، أَمْكَنَني أَنْ أُصْرِفَهُ .

جَثَوْتُ عَلى رُكْبَتَـيَّ لِكَيْ أَبْحَثَ عَنِ ٱلقابِسِ ، وَكانَ لايَزالُ عَلى ٱلأَرْضِ بِجِوارِ سَريري . زَحَفْتُ بِبُطْءٍ وَخِفَّةٍ نَحْوَهُ مِثْلَ ٱلقِطَّةِ ، وَكَأَنَّ ٱلقابِسَ عُصْفورٌ ، وَكَأَنِّي قِطَّةٌ .

هَمَسْتُ : « سَأُمْسِكُ بِكَ أَيُّها ٱلعُصْفورُ الصَّغيرُ . » كُنْتُ أَقْتَرِبُ مِنْهُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، حابِسًا أَنْفاسي ، ثُمَّ انْقَضَضْتُ عَلَيْهِ !

اِحْتَوَيْتُ ٱلقابِسَ بَيْنَ يَدَيَّ . أَخيرًا أَصْبَحَ في يَدي ! قَبَضْتُ عَلَيْهِ ! لَمْ يُفْلِتْ مِنِّي هٰذِهِ ٱلمَرَّةَ . كانَ لا بُدَّ لِـيَ ٱلآنَ أَنْ أَجِدَ ٱلمِقْبَسَ ، فَتَحَسَّسْتُ

ٱلحائطَ بِأصابعي . أَيْنَ ٱلمَقْبِسُ ؟ نَعَمْ ، ها هُوَ ذا . لَمْ يَسْحَبِ الشَّحُ ٱلقابِسَ مِنْ يَدي ، فَوَضَعْتُ ٱلقابِسَ في ٱلمَقْبِسِ ؛ وَعادَ النُّورُ .

قَفَزْتُ إلى ٱلفِراشِ ، وَٱستَلْقَيْتُ عَلى ظَهْري . أَخيرًا ، كانَ الضَّوْءُ يَغْمُرُ حُجْرَتي ، فَجُلْتُ بِبَصَري في ٱلحُجْرةِ ، وَلَمْ أُصَدِّقْ عَيْنَيَّ . لَمْ يَكُنْ هُناكَ أَيُّ زُجاجٍ مَكْسورٍ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَلَمْ تَكُنْ خِزانةُ ٱلمَلابِسِ مُلْقاةً عَلى ٱلأَرْضِ ، وَلَمْ تَكُنِ النّافِذةُ مَكْسورةً . كُلُّ شَيْءٍ في حُجْرَتي كانَ سَليمًا وَفي مَكانِهِ ! وَكانَتِ الصُّورةُ – صورةُ جولي – في مَكانِها عَلى ٱلحائِطِ ، وَ كانَ وَجْهُها يَبْتَسِمُ لي ، وَكانَتْ خِزانةُ ٱلمَلابِسِ في مَكانِها في رُكْنِ ٱلحُجْرةِ ، وَكانَ بابُ ٱلخِزانةِ مُغْلَقًا .

نَهَضْتُ مِنَ ٱلفِراشِ وَفَتَحْتُها ؛ فَرَأَيْتُ مَلابِسي داخِلَها . وَكانَ هُناكَ أَيْضًا فُسْتانُ جولي ، وَكانَ مَقْعَدي في مَكانِهِ !

تَوَجَّهْتُ إلى بابِ حُجْرةِ النَّوْمِ ، وَحاوَلْتُ أَنْ أَفْتَحَهُ ؛ فانْفَتَحَ بِسُهولةٍ ، ثُمَّ أَغْلَقْتُهُ ثانِيةً .

بَدَأْتُ أَضْحَكُ مِنْ نَفْسي ، وَقُلْتُ : « إنَّني تَخَيَّلْتُ كُلَّ هٰذِهِ ٱلأَشْياءِ ! الرَّقْصَ ، ٱلقِطَّةَ .. كُلَّها مِنِ ٱخْتِلاقِ خَيالي ! »

عُدْتُ إلى ٱلفِراشِ ، وَنَظَرْتُ إلى ٱلمُنَبِّهِ الَّذي كانَ عَلى مِنْضَدةِ السَّريرِ ، وَكانَتِ السّاعةُ الثّالِثةَ وَالنِّصْفَ . جَلَسْتُ في ٱلفِراشِ أُفَكِّرُ لِمُدَّةِ

عَشْرِ دَقائِقَ تَقْريبًا ، وَكانَ ٱلمِصْباحُ مُضاءً ، إلّا أَنَّني كُنْتُ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ عَريبٍ .. كانَ الشَّبَحُ لايَزالُ مَوْجودًا في ٱلحُجْرةِ . لَقَدْ أَعَدْتُ ٱلقابِسَ إلى داخِلِ ٱلمَقْبِسِ ، وَمَعَ ذٰلِكَ كانَ الشَّبَحُ لايَزالُ هُناكَ ! لَقَدِ ٱنْتَهَكَ الشَّبَحُ آخِرَ قاعِدةٍ لِلُّعْبةِ . نَعَمْ ، لَقَدْ دَفَعْتُ بِٱلقابِسِ إلى ٱلمَقْبِسِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَنْصَرِفْ !

مَلَأَتْني هٰذِهِ ٱلفِكْرةُ بِالذُّعْرِ وَٱلفَزَعِ ! لَقَدِ ٱنْتَهَكَ الشَّبَحُ جَميعَ قَواعِدِ اللُّعْبةِ : فَلَمْ يَخْتَفِ مَعَ إنارةِ ٱلمِصْباحِ . وَ أَطْفَأْتُ النُّورَ « بِاسْتِخْدامِ ٱلمِفْتاحِ » وَمَعَ ذٰلِكَ بَقِيَ « الطَّيْفُ الشِّرِّيرُ . »

أَخْرَجْتُ ٱلقابِسَ مِنَ ٱلمَقْبِسِ ، وَأَعَدْتُهُ عِدَّةَ مَرّاتٍ ، وَمَعَ ذٰلِكَ ظَلَّ الشَّبَحُ في ٱلحُجْرةِ . كانَتِ ٱلحُجْرةُ مُرَتَّبةً ، وَلٰكِنَّها مَليئةٌ بِالشَّرِّ .

أَطْفَأْتُ ٱلمِصْباحَ ، وَحاوَلْتُ أَنْ أَنامَ ، وَلٰكِنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ . ثُمَّ حاوَلْتُ النَّوْمَ ، وَالنُّورُ مُضاءٌ ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَيْضًا . في النِّهايةِ أَطْفَأْتُ النُّورَ ، وَاسْتَلْقَيْتُ في ٱلفِراشِ .

كُنْتُ أَسْتَطيعُ أَنْ أَرى ٱلحُجْرةَ بِجَميعِ تَفاصيلِها في ضَوْءِ ٱلقَمَرِ ، وَفَجْأةً سَمِعْتُ شَيْئًا يَتَنَفَّسُ بِعُمْقٍ . كانَ الصَّوْتُ صادِرًا مِنْ أَحَدِ أَرْكانِ ٱلحُجْرةِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ ظِلًّا داكِنًا في رُكْنِ ٱلحُجْرةِ . كانَ أَشْبَهَ بِغَمامةٍ سَوْداءَ . كانَ صَوْتُ التَّنَفُّسِ ٱلعَميقِ يَصْدُرُ عَنِ الظِّلالِ .

بدأتِ الظِّلالُ تتحرَّكُ نحوي ببُطْءٍ ، فحاولْتُ أنْ أقفِزَ مُبتعدًا عن الفراشِ ، ولٰكِنَّني - لِفَرَعي - لَمْ أستَطِعْ أنْ أتحرَّكَ . بَقيتُ مُستلقِيًا في الفراشِ ، بَيْنَما العَمامةُ السَّوْداءُ الرَّقيقةُ تَقتَرِبُ مِنِّي .. تَقتَرِبُ أكثرَ فأكثرَ ، حَتَّى أصبَحَتْ مُعَلَّقةً في الهَواءِ فَوْقي مُباشرةً .

نظَرْتُ إلى أعْلى مُحَمْلقًا فيها ، فبدأتْ تَهبِطُ عَنِّي . كانتِ الحُجْرةُ في تلْكَ اللَّحْظةِ في ظَلامٍ دامِسٍ ، فَقَدْ حَجَبَتِ العَمامةُ ضَوْءَ القَمَرِ ، وَ قَبْلَ مُرورِ وَقْتٍ طَويلٍ كانَتْ تُغَطِّيني وَ تُحيطُ بي . كُنْتُ لاأزالُ أسْمَعُ صَوْتَ نَفَسٍ عَميقٍ ، وَكُنْتُ أشْعُرُ بِهِ يَلْفَحُ وَجْهي . كانَ نَفَسَ شَبَحٍ شِرِّيرٍ ، وَ حاولْتُ أنْ أصْرُخَ ، فَلَمْ أستَطِعْ ، بَلْ لَمْ أستَطِعِ التَّنفُّسَ .

كُنْتُ في نَفسِ الوقْتِ أسْمَعُ صَوْتًا آخَرَ يَأتي مِنَ الخارِجِ ، وكانَ صَوْتَ قِطَّةٍ خارِجَ نافِذَتي ، كانَتِ القِطَّةُ تَبْكي ، وكَأنَّها طِفْلٌ صَغيرٌ .

رَقَدْتُ تَحْتَ الظِّلالِ الدّاكِنةِ ، كُنْتُ أعْرِفُ أنَّها ظِلالُ المَوْتِ .

اَلفَصْلُ التّاسِعُ

اَليَوْمُ .. الثُّلاثاءُ

كُنْتُ في اللَّيْلةِ الماضِيةِ في ظِلالِ المَوْتِ ، وَ لٰكِنّي لا أَزالُ حَيًّا . إنّي في هٰذِهِ اللَّحْظةِ جالِسٌ في حُجْرةِ مَكْتَبي أَكْتُبُ هٰذِهِ القِصّةَ السّاعةُ تُشيرُ الآنَ إلى العاشِرةِ مَساءً . لٰكِنّي مُتْعَبٌ جِدًّا لِأَنّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَنامَ لَيْلةَ أَمْسِ دَقيقةً واحِدةً .

لَمْ تُلْحِقْ بِيَ الظِّلالُ – الَّتي وَصَفْتُها مِنْ قَبْلُ – أَيَّ ضَرَرٍ . وَعِنْدَما أَشْرَقَ نورُ الصَّباحِ اخْتَفَتِ الظِّلالُ ، فَنَهَضْتُ ، ثُمَّ غادَرْتُ حُجْرَتي . كانَتِ الظِّلالُ قَدِ اخْتَفَتْ ، وَلٰكِنَّ الشَّبَحَ ظَلَّ في الحُجْرةِ ، بَلْ إنَّهُ في الحُجْرةِ الآنَ .

إنّي في حُجْرةِ مَكْتَبي الآنَ ، وَ لا يَسْتَطيعُ الشَّبَحُ أَنْ يُؤْذِيَني هُنا ، (أَوْ لَعَلّي آمُلُ ذٰلِكَ) . كُنْتُ قَدْ حَصَرْتُ إلى حُجْرةِ مَكْتَبي في الخامِسةِ وَالنِّصْفِ هٰذا الصَّباحَ ، وَ انْهَمَكْتُ في كِتابةِ هٰذِهِ القِصّةِ مُنْذُ ذٰلِكَ الحينِ . الأَوْراقُ تُغَطّي مَكْتَبي ، وَ أَنا أَكْتُبُ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ سِتِّ عَشْرةَ ساعةً ، وَمازِلْتُ مُنْهَمِكًا في الكِتابةِ . لَمْ أَتَناوَلْ شَيْئًا ، لَمْ أَغْتَسِلْ ، وَمازِلْتُ مُرْتَدِيًا بِيجامَتي ، وَالحَوُّ بارِدٌ بِالخارِجِ ، وَ بِيجامَتي مَصْنوعةٌ مِنْ قُماشٍ خَفيفٍ . وَ مَعَ ذٰلِكَ لا أَشْعُرُ بِالبَرْدِ ، لا أَشْعُرُ إلّا بِشَيْءٍ واحِدٍ

فَقَطْ : أَنّني مُتْعَبٌ ، مُتْعَبٌ جِدًّا .

أَوْشَكْتُ عَلى الِانْتِهاءِ مِنْ قِصَّتي . لَقَدْ حاوَلْتُ – في يَوْمٍ وَحيدٍ طَويلٍ – أَنْ أَصِفَ حَياتي مُنْذُ مَوْتِ جولي . وَلَعَلَّكَ لا تُصَدِّقُ أَنَّ أَيَّ شَيْءٍ مِنْ هٰذا كُلِّهِ حَدَثَ بِالفِعْلِ ، وَلَعَلَّكَ تَظُنُّني مَجْنونًا ، وَقَدْ تَقولُ : « إنَّكَ تُقاتِلُ ، وَضَميرُكَ يُعاقِبُكَ . » قَدْ تَظُنُّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُناكَ شَبَحٌ وَالأَمْرُ مَرْجِعُهُ كُلُّهُ إلى ضَميري : اِخْتَلَقَ ضَميري الشَّبَحَ . فَإِذا راوَدَكَ أَيُّ مِنْ هٰذِهِ الظُّنونِ ، فَإِنَّكَ مُخْطِئٌ ، فَكُلُّ هٰذِهِ الأَشْياءِ حَدَثَتْ بِالفِعْلِ !

بَدَأْتُ قِصَّتي بِشَبَحٍ لَعوبٍ ، وَ انْتَهَتْ بِشَبَحٍ شِرّيرٍ . كُنّا في البِدايةِ نَلْعَبُ لُعْبةً جَميلةً ، وَ تَحَوَّلَتِ اللُّعْبةُ – بِمُرورِ الزَّمَنِ – إلى لُعْبةٍ خَطِرةٍ ! وَ اسْتَمَرَّتْ هٰذِهِ اللُّعْبةُ اثْنَتَيْ عَشْرةَ سَنةً . وَقَدْ عِشْتُ مَعَ زَوْجَتي جولي اثْنَتَيْ عَشْرةَ سَنةً . إذًا فَتاريخُ اللُّعْبةِ يُساوي تاريخَ حَياتي مَعَ جولي .

كُنْتُ في البِدايةِ سَعيدًا مَعَها ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أُعارُ مِنْ أَصْدِقائِها ، ثُمَّ سَيْطَرَتْ أَفْكارٌ شِرّيرةٌ عَلى تَفْكيري ؛ فَدَمَّرْتُ جولي ، وَ دَمَّرْتُ حَياتَنا مَعًا . كُنْتُ أُريدُ أَنْ تَكونَ جولي لي ، لي وَحْدي . و حَدَثَ الشَّيْءُ نَفْسُهُ في اللُّعْبةِ . كانَتْ لُعْبةً جَميلةً في البِدايةِ ، ثُمَّ شَعَرَ الشَّبَحُ بِالغَيْرةِ ، كانَ يُريدُني أَنْ أَكونَ وَحيدًا ، وَتَحَوَّلَ إلى شَبَحٍ شِرّيرٍ ، وَ حاوَلَ أَنْ يُدَمِّرَني .

و آلآن لا يشغلُ تفكيري غيرُ سؤالٍ واحدٍ : هل سيُدمّرني الشبحُ في هذه اللحظة أحاولُ ألّا أفكر في هذا السؤال ، وسأتوصّل إلى آلإجابة عنهُ ، عندما أذهبُ إلى آلفراش ، فأنا لا أرغبُ في التفكير فيه آلآن .

وَ لكنْ في أيّ شيءٍ أفكّرُ ؟ لمْ تعُد آلأشياءُ آلتي اعتدتُ التفكير فيها – ذاتَ أهميّةٍ بالنسبةِ لي . إنّ مُغامراتِ فيتْرت وايلي أشبهُ بحُلْمٍ .

لقدْ أصبحتْ لُعبتي معَ الشبحِ تُشكّلُ حياتي كلّها . إنّني أعرفُ تمامًا أنّهُ يُمكنُني إيقافُ اللُّعبةِ ، وَ تغييرُ مجرى حياتي . وَ هُناكَ طريقةٌ واحدةٌ للقيامِ بذلكَ ، وَ هيَ أنْ أحكيَ هذا السرَّ لشخصٍ ما . وَ أنا أعرفُ أنّ اللُّعبةَ عندئذٍ ستتوقّفُ . سيزورُني لويس غدًا ، وَ لكنّني لنْ ألعبَ الشطرنجَ معهُ . سأحكي لهُ هذهِ آلقصّةَ ، وَ سيعودُ كلُّ شيءٍ إلى سابقِ عهدهِ . ماذا سيعتقدُ لويس عندما أخبرُهُ عنْ هذهِ آلقصّةِ ؟ لا أعرفُ .

ستنتهي اللُّعبةُ إذا أخبرْتُ لويس بالسرِّ – وَ « إذا » هُنا تُشيرُ إلى شرطٍ صعْبٍ .. هلْ بإمكاني أنْ أخبرَ لويس عنْ سرّي ؟ لا أدري ! إذا قُدّرَ لي أنْ أعيشَ بعدَ هذهِ اللّيلةِ ، فمنَ آلمؤكّدِ أنّني سأخبرُهُ . أمّا إذا متُّ ، أيْ إذا لمْ أطلعْ لويس عنى قصّتي ، فإنّها ستكونُ مُسجّلةً في هذا آلمخطوط . وَ قدْ يجدُ لويس هذا آلمخطوط ، وَ يقومُ بنشرِهِ . وَ يا لهُ منْ مخطوطٍ ! كلُّهُ أوراقٌ مُتعثّرةٌ على مكْتبي ، وَ لا تحملُ هذهِ آلأوراقُ

أيّةَ أرقامٍ . لقدْ كتبْتُها – كلّها – بقلمِ الرّصاصِ ؛ وَ لذلكَ سيكونُ منَ الصّعْبِ قراءتُها ، وَ ليسَ بيْنَ عباراتِها نقطٌ أوْ فواصلُ . فإذا أرادَ لويس أنْ ينشرَ آلمخطوطَ ، فعليهِ – أوّلًا – مُراجعتُهُ ، وَ أعتقدُ أنّهُ يستطيعُ مُراجعتَهُ مُراجعةً دقيقةً .

لمْ أفكّرْ في عُنوانٍ جذّابٍ للكتابِ . وَ لعلّ « لُعبةً خطيرةً » يكونُ عُنوانًا جدّابًا . غيرَ أنّ محاوِفي لا أساسَ لها ، فلنْ أموتَ ، وَ سأراجعُ آلمخطوطَ وَ أقومُ بنشرِهِ بنفسي ، وَ لنْ يرى لويس هذا آلمخطوطَ أبدًا .

لقدْ كانَ يومًا غريبًا ، غريبًا منْ عدّةِ نواحٍ . لمْ أكنْ قدْ كتبْتُ كلمةً واحدةً لمدّةِ شهرٍ كاملٍ ، أمّا آليومَ فقدْ كتبْتُ كتابًا بأكملِهِ . آليومُ هوَ آلثّاني وَآلعشرونَ منْ شهرِ يناير . لقدْ مضى على وفاةِ حولي اثْنا عشرَ عامًا ، عِشْنا معًا أربعةً وَ عشرينَ عامًا . يا لهُ منْ يومٍ !

بآلأمسِ كانتِ الشّمسُ مُشرقةً في سماءٍ صافيةٍ ، أمّا آليومَ فقدِ امتلأتِ السّماءُ بالسُّحبِ وَ آلغيومِ . إنّهُ يومٌ منْ أيّامِ الشّتاءِ آلحقيقيّةِ ، سأذكرُهُ دائمًا ، وَ لنْ أنساهُ لفترةٍ طويلةٍ .

أثناءَ عملي في آلكتابِ آليومَ ، نظرْتُ بضْعَ مرّاتٍ خارجَ النّافذةِ ، وَ آلآنَ قدْ حلَّ آلظّلامُ – بطبيعةِ آلحالِ . لقدْ كانتْ حديقتي في فترةٍ سابقةٍ – خاليةً منَ آلقططِ وَ ما شابهَ ذلكَ ، وَ لكنْ لمْ يتوافرْ لي وقْتٌ

كانَ لِلنَّظَرِ كَثيرًا خارِجَ النّافِذَةِ ، فَقَدْ كانَتْ قِصَّتي تَشْغَلُ تَفْكيري طَوالَ اليَوْمِ .

حاوِلْ أَنْ تَتَخَيَّلَني في هٰذِهِ اللَّحْظَةِ . إِنَّني جالِسٌ إِلى مَكْتَبي ، مِصْباحُ المَكْتَبِ مُضاءٌ ، وَ لَمْ أُسْدِلْ سَتائِرَ حُجْرَةِ المَكْتَبِ . وَ القَمَرُ في وَسَطِ السَّماءِ ، وَ يُمْكِنُني رُؤْيَتُهُ خِلالَ نافِذَةِ الحُجْرَةِ . إِنَّني وَحيدٌ في هٰذا المَنْزِلِ الكَبيرِ . يَسودُ البَيْتَ ظَلامٌ وَ صَمْتٌ ، وَ حُجْرَةُ نَوْمي في الطَّرَفِ الآخَرِ مِنَ المَنْزِلِ ، وَ أَعْرِفُ أَنَّهُ آجِلًا أَوْ عاجِلًا – لا بُدَّ لي مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَيْها . بابُ حُجْرَةِ نَوْمي مُغْلَقٌ ، غَيْرَ أَنَّني أَعْرِفُ أَنَّ هُناكَ شَخْصًا خَلْفَهُ ، وَ أَعْرِفُ أَنَّ شَبَحَ جولي في الحُجْرَةِ ، وَ أَنَّهُ في انْتِظاري . إِنَّني حينَ أَدْخُلُ تِلْكَ الحُجْرَةَ أَكونُ قَدْ دَخَلْتُ عالَمًا شِرّيرًا . وَ عِنْدَما تَكونُ خائِفًا ، فَإِنَّكَ تَنْظُرُ خَلْفَكَ طَوالَ الوَقْتِ . أَنْتَ تَكْرَهُ الظَّلامَ .. أَتَذْكُرُ حينَ كُنْتَ طِفْلًا ؟ عِنْدَما كُنْتَ طِفْلًا كانَ سَريري مُلاصِقًا لِلْحائِطِ ، وَكُنْتُ لا أَنامُ أَبَدًا وَ وَجْهي ناحِيَةَ الحائِطِ ، فَقَدْ كُنْتُ أَخْشى أَنْ يَكونَ هُناكَ « شَيْءٌ ما » خَلْفي .

وَ لا تَزالُ هٰذِهِ المَخاوِفُ وَالهَواجِسُ تُراوِدُني . وَ اللَّيْلَةَ لا بُدَّ لي مِنْ أَنْ أَذْهَبَ إِلى حُجْرَةِ نَوْمي وَحْدي ، وَ رُبَّما لا أَخْرُجُ مِنْها حَيًّا أَبَدًا .

كُنْتُ دائِمًا أَخافُ مِنَ الأَشْباحِ . وَفي طُفولَتي كُنْتُ عادَةً أُسْدِلُ السَّتائِرَ ثُمَّ أَتَفَحَّصُها ، وَكانَتِ السَّتائِرُ مَنْقوشَةً بِالأَزْهارِ ، وَ لٰكِنَّني اعْتَدْتُ

أَنْ أَرى في هٰذِهِ الرُّسومِ وُجوهًا .. كانَتِ الوُجوهُ تَبْدو لي أَحْيانًا سَعيدَةً ، وَ أَحْيانًا أُخْرى شِرّيرَةً ، وَ عِنْدَما كُنْتُ أُطْفِئُ النّورَ كُنْتُ أَتَخَيَّلُها ، وَ قَدْ مَلَأَتِ الحُجْرَةَ ، وَ الْتَفَّتْ حَوْلي . كُنْتُ أَصْرُخُ أَحْيانًا ؛ فَتَأْتي أُمّي إِلى الحُجْرَةِ ، وَ لٰكِنْ إِذا صَرَخْتُ اللَّيْلَةَ ، فَمَنْ ذا الَّذي يُسْرِعُ لِنَجْدَتي ؟ ! مَنْ ذا يَقولُ لي : « إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ يا عَزيزي ، نَمِ الآنَ ؛ لَقَدْ رَأَيْتَ حُلْمًا مُفْزِعًا . »

بِالتَّأْكيدِ لا أَحَدَ ، سَأَكونُ وَحْدي ، بِمُفْرَدي مَعَ بُولْدي – أَوْ جولي – مَعَ الشَّبَحِ .

لَعَلَّكَ تَسْأَلُني : « وَ لِمَ لا تَتْرُكُ المَنْزِلَ ؟ ما زالَ أَمامَكَ وَقْتٌ كافٍ . لا تَبْقَ هُنا . لا تَلْعَبِ اللُّعْبَةَ اللَّيْلَةَ . » وَ لٰكِنَّني يَجِبُ أَنْ أَلْعَبَ اللُّعْبَةَ مَرَّةً أُخْرى . إِنَّني أَشْعُرُ بِمَيْلٍ لِلنَّوْمِ ، وَلٰكِنَّني سَأَكونُ يَقِظًا تَمامًا . عِنْدَما تَبْدَأُ المُباراةُ ، دائِمًا أَكونُ مُتَيَقِّظًا .

لِمَ لا أَتَّصِلُ هاتِفِيًّا بِلوبِس ؟ فَبِإِمْكانِهِ الحُضورُ ، وَ مُلازَمَتي اللَّيْلَةَ . أَوَدُّ أَنْ أُخْبِرَكَ بِشَيْءٍ .. لَقَدْ حاوَلْتُ مِرارًا – أَنْ أَتَّصِلَ بِلوبِس هاتِفِيًّا هٰذا المَساءَ ، وَ لٰكِنَّ الحَرارَةَ انْقَطَعَتْ عَنِ التِّليفونِ ، وَ لا أَسْمَعُ شَيْئًا حينَ أَرْفَعُ السَّمّاعَةَ . إِنَّني مَعْزولٌ عَنِ العالَمِ . وَ عَلى ذٰلِكَ هُناكَ شَيْءٌ واحِدٌ فَقَطْ يُمْكِنُ أَنْ أَفْعَلَهُ ، يَجِبُ أَنْ أَلْعَبَ المُباراةَ . تُرى .. كَيْفَ سَتَكونُ

لُعْبَةُ اللَّيْلَةِ ؟ إِنَّني أَرْتَعِدُ عِنْدَما أُفكِّرُ فيها ، وَ قَلْبي يَمْتَلِئُ رُعْبًا ، وَ يَدي تَرْتَعِشُ آلآنَ وَ هِيَ تَخُطُّ هٰذِهِ آلكَلِماتِ . ماذا سَيَحْدُثُ ؟ سَأَدْخُلُ حُجْرَةَ النَّوْمِ ، وَ لَنْ أُضْطَرَّ لِجَذْبِ آلقابِسِ حَتَّى أَسْتَدْعِيَ الشَّبَحَ ، فالشَّبَحُ هُناكَ بِآلفِعْلِ ، وَ سَأَذْهَبُ إِلى آلفِراشِ وَ تَبْدَأُ اللُّعْبَةُ . وَ لٰكِنْ أَيُّ ضَرْبٍ مِنَ آلأَلْعابِ ؟ وَ عَلى أَيِّ صورةٍ سَتَكونُ نِهايَتُها ؟

أَعْرِفُ أَنَّني أَتَكَلَّمُ كَثيرًا ، أَوْ – بِآلأَحْرى – أَكْتُبُ كَثيرًا ، وَ لَمْ يَعُدْ هُناكَ ما أُخْبِرُكَ بِهِ . إِذًا لِمَ أَسْتَرْسِلُ في آلكِتابَةِ؟ لا لِشَيْءٍ إِلّا لِأَسْتَأْنِسَ بِصُحْبَتِكَ . إِنَّني أَكْتُبُ لِأَنَّني أَخْشى أَنْ أُعادِرَ حُجْرَةَ آلمَكْتَبِ ، فَأَنا أَشْعُرُ بِآلاطْمِئْنانِ هُنا ، وَ إِذا تَوَقَّفْتُ عَنِ آلكِتابَةِ ، فَسَأُضْطَرُّ إِلى آلتَّوَجُّهِ إِلى حُجْرَةِ نَوْمي .

أَعْتَقِدُ أَنَّهُ حانَ آلوَقْتُ آلآنَ ، لا بُدَّ مِنْ أَنْ أَتَوَقَّفَ عَنِ آلكِتابَةِ ، وَ مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ أَقولُ لَكَ : « لَيْلَةً سَعيدَةً » ، أَوْ – بِآلأَحْرى – « وَداعًا » ، لَعَلَّهُ وَداعٌ لِلأَبَدِ .

آلفَصْلُ آلعاشِرُ
آلمُلْحَقُ

اسْمي لِويس ، وَكَما عَرَفْتَ مِنْ خِلالِ أَحْداثِ هٰذِهِ آلقِصَّةِ كُنْتُ صَديقًا لِوِلْيم هارِيس . لَقَدْ أَضَفْتُ هٰذا آلمُلْحَقَ إِلى كِتابِهِ لِكَيْ أُكْمِلَ آلقِصَّةَ

مات وِلْيم في لَيْلَةِ آلثّاني وَ آلعِشْرين مِنْ شَهْرِ يَناير عام أَلْف وَتِسْعِمِئَةٍ وَ سِتٍّ وَ سَبْعين ، وَ أَخْبَرَني آلطَّبيبُ آلشَّرْعِيُّ أَنَّهُ فارَقَ آلحَياةَ قَبْلَ مُنْتَصَفِ آللَّيْلِ مُباشَرَةً : أَيْ بَعْدَ ساعَةٍ تَقْريبًا مِنْ ذَهابِهِ إِلى آلفِراشِ .

لِماذا ماتَ وِلْيم ؟ ما مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطيعُ تَفْسيرَ ذٰلِكَ ، فَمَوْتُهُ كانَ لُغْزًا مِثْلَ كَثيرٍ مِنَ آلأَحْداثِ في قِصَّتِهِ . كانَتْ حَياتُهُ لُغْزًا ، وَكَذٰلِكَ كانَتْ وَفاتُهُ . وَ لَمْ يَكُنْ لِوِلْيم أَقارِبُ ، وَكُنْتُ صَديقَهُ آلوَحيدَ . لَقَدْ سَأَلَني رِجالُ آلشُّرْطَةِ كَثيرًا مِنَ آلأَسْئِلَةِ عَنْ وِلْيم ؛ وَ لَمْ أَتَمَكَّنْ مِنْ إِفادَتِهِمْ بِأَكْثَرَ مِمّا جاءَ في كِتابِهِ مِنْ مَعْلوماتٍ . وَ قامَ كَثيرٌ مِنْ ضُبّاطِ آلشُّرْطَةِ بِقِراءَةِ مَخْطوطِ وِلْيم ؛ وَ صَدَّقَ بَعْضُهُمْ قِصَّتَهُ ، وَ شَكَّ فيها آلآخَرونَ .

إِنَّ مَوْتَهُ لُغْزٌ فِعْلًا !

وَجَدْتُ مَخْطوطَ قِصَّةِ « لُعْبَةٌ خَطِرَةٌ » في حُجْرَةِ مَكْتَبِ وِلْيم ، وَ دَسَّ

في ليْلةِ مَوْتِهِ ، وَ بَعْدَ مُرورِ عِدَّةِ أيّامٍ سَمَحَتْ لِيَ الشُّرْطةُ بِأخْذِ المَخْطوط معي لِلْمَنْزِلِ . كانَ المَخْطوطُ - بِأكْمَلِهِ - في حُجْرةِ المَكْتَبِ تَمامًا كَما تَرَكَهُ وِلْيَم ، وَكانَتْ هُناكَ أوْراقٌ كَثيرةٌ تُغَطّي المكْتَبَ . وَكَذلِكَ أرْضيَّةُ الحُجْرةِ ، كَما كانَتْ هُناكَ عِدَّةُ أقْلامٍ على المَكْتَبِ .

إنَّني أكْتُبُ هٰذا المُلْحَقَ بَعْدَ مُرورِ سِتَّةِ أشْهُرٍ عَلى مَوْتِ وِلْيَم ، وَقَدِ انْتَهَيْتُ - مُنْذُ فَتْرةٍ وَجيزةٍ - مِنْ مُراجَعةِ المَخْطوطِ . وَكانَ وِلْيَم قَدْ كَتَبَ « لُعْبةً خَطِرةً » وَ أعْتَقِدُ أنَّهُ عُنْوانٌ « مُناسِبٌ » ، وَلِذا سَأبْقي عَلَيْهِ كَما هُوَ - في يَوْمٍ واحِدٍ طَويلٍ ، وَلٰكِنَّني قَضَيْتُ وَقْتًا طَويلًا في تَرْتيبِها . كَتَبَ وِلْيَم القِصَّةَ في عَجَلةٍ ؛ لِذا كانَ مِنَ الصَّعْبِ قِراءةُ المَخْطوطِ ، وَلَمْ يَضَعْ نُقَطًا في أواخِرِ الجُمَلِ ، وَلَمْ يَضَعْ فَواصِلَ ، وَلَمْ تَكُنْ عِباراتُهُ كامِلةً ؛ وَلِهٰذِهِ الأسْبابِ لَمْ يَكُنْ إعْدادُ المَخْطوطةِ وَجَعْلُها صالِحةً لِلنَّشْرِ أمْرًا هَيِّنًا . وَقَدْ قُمْتُ بِتَقْسيمِ الكِتابِ إلى فُصولٍ ؛ لِذا آمُلُ أنْ يَكونَ سَهْلَ القِراءةِ . وَقَدْ أعْطَيْتُ لِكُلِّ فَصْلٍ عُنْوانًا ، إلّا أنَّني لَمْ أُضِفْ كَلِمةً إلى قِصَّةِ وِلْيَم ، وَلَمْ أقْتَطِعْ مِنْها شَيْئًا ، فَهِيَ - تَمامًا كما كَتَبَها . وَقُمْتُ بِنَشْرِ هٰذِهِ القِصَّةِ ، لِأنَّني أعْتَقِدُ أنَّ وِلْيَم يُريدُ مِنّي أنْ أنْشُرَها .

وَفي أثْناءِ قِيامي بِمُراجَعةِ هٰذِهِ القِصَّةِ ، سَألْتُ نَفْسي أسْئِلةً كَثيرةً عَنْ وِلْيَم . وَقَدْ تَضَمَّنَ كِتابُهُ الإجابةَ عَنْ بَعْضِ أسْئِلَتي ، بَيْنَما بَقِيَتِ الأُخْرى دونَ إجابةٍ .

كُنْتُ أعْرِفُ أنَّ وِلْيَم لَمْ يَكُنْ سَليمًا - أعْني مِنَ النّاحِيةِ العَقْليَّةِ . فَقَدْ كانَ ذِهْنُهُ مَشْغولًا - دائِمًا - بِشَيْءٍ ما ، وَكُنْتُ أُلاحِظُ ذٰلِكَ في كُلِّ مَرَّةٍ نَلْتَقي فيها . وَلَمْ يَكُنْ يَأْكُلُ جَيِّدًا ، وَلَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ قِسْطًا كافِيًا مِنَ النَّوْمِ ، وَكُنْتُ أُلاحِظُ ذٰلِكَ أيْضًا . وَفي السَّنَةِ الَّتي سَبَقَتْ مَوْتَهُ كانَ جِسْمُهُ يَزْدادُ نُحولًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، وَلَمْ يَكُنْ يَهْتَمُّ بِالطَّعامِ أوْ بِعَمَلِهِ أوْ بِمُبارَياتِ الشَّطْرَنْجِ الَّتي كُنّا نَلْعَبُها مَعًا . لَمْ يَكُنْ - في الواقِعِ - مُهْتَمًّا بِالحَياةِ ذاتِها ! بِالتَّأْكيدِ كانَ مُهْتَمًّا بِشَيْءٍ ما ، وَلٰكِنَّ هٰذا « الشَّيْءَ » كانَ لُغْزًا بِالنِّسْبةِ لي ، وَلَمْ يُخْبِرْني بِهِ قَطُّ . كانَ هٰذا الشَّيْءُ هُوَ سِرَّهُ الَّذي آثَرَ أنْ يُخْفِيَهُ عَنّي .

رَأيْتُ أنْ أسْتَدْعِيَ طَبيبًا ، وَلٰكِنَّهُ رَفَضَ . وَكانَتْ مُبارَياتُ الشَّطْرَنْجِ الَّتي لِعِبْناها أثْناءَ العامِ الَّذي سَبَقَ مَوْتَهُ تَبْدو سَخيفةً مُمِلَّةً ، فَلَمْ يَعُدْ وِلْيَم يَلْعَبُ بِحَماسةٍ أوِ اهْتِمامٍ . فَقَدْ كانَ دائِمًا يَتَوَقَّفُ أثْناءَ المُباراةِ ، وَيَنْظُرُ إلى أعْلى ، نَحْوَ السَّقْفِ . وَكانَ يُحاوِلُ أنْ يُرْهِفَ السَّمْعَ إلى شَيْءٍ ما . هَلْ تَذْكُرُ أنَّني - ذاتَ مَرَّةٍ - سَألْتُهُ عَنْ بُولْدي ، وَ أنَّهُ رَفَضَ أنْ يُخْبِرَني بِأيِّ شَيْءٍ عَنْهُ ؟

قالَ في كِتابِهِ إنَّهُ كانَ يَسْمَعُ صَوْتَ طَرَقاتٍ آتِيةً مِنَ الحُجْرةِ في الطّابَقِ العُلْوِيِّ ، هَلْ كانَ هُناكَ فِعْلًا صَوْتُ طَرَقاتٍ ؟ لا أدْري . فَلَمْ أسْمَعْهُ بِنَفْسي .

أكانَ وِلْيم مَجْنونًا ؟ أحدَثَتْ فعْلًا كُلُّ هٰذِهِ ٱلأشْياءِ ، أمْ كانَتْ وليدة خَيالِهِ ؟ لا أدْري ! كانَ لِوِلْيم – بِالتَّأكيدِ – خَيالٌ خِصْبٌ ، وَ لَعَلَّكَ قَرأْتَ لهُ قِصَصَ فيلْبَرْت وايْلي . إذا كُنْتَ قَدْ قَرأْتَها ، فَلا بُدَّ أنَّكَ تَعْرِفُ ٱلكَثيرَ عَنْ خَيالِ وِلْيم . ففي إحْدى هٰذِهِ ٱلقِصَصِ – لا أذْكُرُ عُنْوانَها ٱلآنَ – نَرى فيلْبَرْت وايْلي سَجينًا في بَيْتٍ تَسْكُنُهُ ٱلأشْباحُ .

لَعَلَّكَ تَذْكُرُ ٱلمَشْهَدَ . لَقَدْ مَرَّ هٰذا ٱلمَشْهَدُ بِخاطِري عِنْدَما قَرأْتُ هٰذه ٱلقِصَّةَ . وَكانَ وِلْيم كاتِبًا بِمَعْنى ٱلكَلِمةِ ، فَهُوَ يَقولُ في قِصَّتِهِ إنَّهُ كانَ شَخْصًا مُمِلًّا . صَحيحٌ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَياةٌ مُثيرةٌ (إذا سَأَلْنا عَنْ مَعْنى هٰذِهِ ٱلكَلِمةِ في ٱلواقِعِ) ، وَلٰكِنْ كانَ عَقْلُهُ قادِرًا على إثارةِ ٱلاهْتِمامِ . يُمْكِنُكَ أنْ تُدْرِكَ ذٰلِكَ مِنْ مُلاحَظَةِ كَيْفَ يُعْمِلُ عَقْلَهُ في قِصَصِهِ ٱلبوليسِيَّةِ ، وَيُمْكِنُكَ مُتابَعَةُ ذٰلِكَ في كِتابِهِ هٰذا .

هَلْ قَتَلَ وِلْيم جولي ؟ سُؤالٌ هامٌّ آخَرُ ! لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ ٱلجَزْمُ بِشَيْءٍ حَوْلَ ذٰلِكَ . إنَّني عَلى يَقينٍ مِنْ أنَّهُ كانَ يُحِبُّها بِعُمْقٍ .

لَعَلَّ وِلْيم كانَ غيورًا ، إلّا أنَّهُ لَمْ يُظْهِرْ هٰذا قَطُّ . لَقَدْ وَصَفَ جولي وَصْفًا جَيِّدًا في قِصَّتِهِ . كانَتْ جولي شَخْصِيَّةً رائِعةً ، أحْبَبْناها كُلَّنا ، وَكانَتْ لَها – بِطَبيعةِ ٱلحالِ – شَخْصِيَّةٌ مُخْتَلِفةٌ جِدًّا عَنْ شَخْصِيَّةِ وِلْيم . كانَتْ لَها قُوَّةٌ خَفِيَّةٌ تَجْذِبُ ٱلجَميعَ إلَيْها ، وَكانَتْ دائِمًا

ضَحوكًا وتُحِبُّ ٱلغِناءَ ، وَكانَتْ رَفيقةً مُمْتِعةً . وَقَدْ أفادَتْ وِلْيم كَثيرًا ، وَجَعَلَتْهُ يَرى ٱلعالَمَ ، وَكانَ هُوَ يَنْعَمُ بِحَياتِهِ مَعَها ، وَلٰكِنْ بَعْدَ مَوْتِها تَحَوَّلَ إلى شَخْصٍ مُخْتَلِفٍ تَمامًا . فَقَدْ عَزَلَ نَفْسَهُ عَنِ ٱلعالَمِ ، وَ ٱنْكَبَّ على ٱلكِتابَةِ ، وَ أغْرَقَ نَفْسَهُ فيها ، حَتّى أصْبَحَ في النِّهايةِ وَحيدًا ، لا صَديقَ لَهُ غَيْري . وَكانَ ذٰلِكَ لأنَّني كُنْتُ أعْرِفُهُ مُنْذُ عَهْدٍ طَويلٍ ، يَوْمَ كُنَّا طُلّابًا . كُنْتُ أعْرِفُهُ مِنْ قَبْلِ أنْ يَلْتَقِيَ بِجولي . نَعَمْ ، كُنْتُ أعْرِفُهُ تَمامًا ، غَيْرَ أنَّ هُناكَ ٱلكَثيرَ ما زِلْتُ أجْهَلُهُ عَنْهُ . هَلْ قَتَلَ جولي ؟ أجِدُ أنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ تَصْديقُ ذٰلِكَ ، وَلا يَعْني ذٰلِكَ أنَّهُ لَمْ يَقْتُلْها . بَلْ لَعَلَّهُ قَتَلَها فِعْلًا . وَعَلى أيَّةِ حالٍ هُناكَ حَقيقةٌ واحِدةٌ مُؤَكَّدةٌ : ماتَ وِلْيم في مِثْلِ ٱليَوْمِ ٱلَّذي ماتَتْ فيهِ جولي ، وَكانَ ذٰلِكَ في ٱلثّاني وَ ٱلعِشْرينَ مِنْ شَهْرِ يَناير ، بَعْدَ مُرورِ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً عَلى مَوْتِها ، وَ لا أسْتَطيعُ تَفْسيرَ هٰذا ٱللُّغْزِ .

كُنْتُ أعْرِفُ أنَّ وِلْيم لَمْ يَكُنْ عَلى ما يُرامُ ، وَطَلَبْتُ مِنْهُ كَثيرًا أنْ يَتْرُكَ ٱلمَنْزِلَ . طَلَبْتُ مِنْهُ أنْ يَأْتي مَعي وَ يَبْقى مَعي ؛ وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ أنْ يَتْرُكَ بَيْتَهُ . وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ مَرَّةً أنْ أُقيمَ مَعَهُ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُريدُ صُحْبَتي ، وَعَلى ذٰلِكَ كُنْتُ دائِمًا أعودُ لِمَنْزِلي بَعْدَ ٱنْتِهاءِ مُبارَياتِنا في الشَّطْرَنْجِ كُلَّ يَوْمِ أرْبِعاءٍ . لَمْ نَكُنْ نَتَحَدَّثُ كَثيرًا أثْناءَ مُبارَياتِنا ، وَكُنْتُ دائِمًا أذْهَبُ إلى بَيْتِهِ ، لِأنَّني أعْرِفُ أنَّهُ كانَ يَسْتَمْتِعُ بِصُحْبَتي مِثْلَما كُنْتُ أسْتَمْتِعُ بِصُحْبَتِهِ .

قالَ وِلْيم في قِصَّتِهِ إنَّهُ حاوَلَ أنْ يَتَّصِلَ بي تِليفونيًّا في لَيْلَةِ مَوْتِهِ ، وَ يَذْكُرُ أنَّ التِّليفونَ لَمْ تُكُنْ بِهِ حَرارةٌ – وَهٰذا لُغْزٌ مَحيِّرٌ أيْضًا ، فَلَقَدِ اسْتَخْدَمْتُ التِّليفونَ لِاسْتِدْعاءِ الشُّرْطَةِ بَعْدَ أنْ وَجَدْتُهُ مَيِّتًا ، وَكانَ التِّليفونُ يَعْمَلُ . هَلْ كانَ وِلْيم يَتَخَيَّلُ أنَّهُ لا يَعْمَلُ ؟ هَلْ كانَ لا يَعْمَلُ حَقيقةً ؟ إذا كانَ الأمْرُ كَذٰلِكَ ، فَكَيْفَ حَدَثَ ذٰلِكَ ؟ وَعَلى هٰذا قَدْ تَكونُ قِصَّةُ وِلْيم صادِقةً أوْ غَيْرَ صادِقةٍ ، فَإذا كانَتْ صادِقةً ، فلا بُدَّ مِنْ قَبولِها . كانَ وِلْيم ضَحِيَّةً لِقُوًى شِرِّيرةٍ ، لِشَبَحٍ غَيورٍ (شَبَحُ مَنْ كانَ هٰذا ؟ لا أسْتَطيعُ الجَزْمَ بِشَيْءٍ) . وَقَدْ تَكونُ القِصَّةُ غَيْرَ صادِقةٍ ، وَعَلى ذٰلِكَ لا بُدَّ أنْ نُسَلِّمَ بِأنَّ وِلْيم قَدِ اخْتَلَقَها كُلَّها ، وَهٰذا يَعْني أنَّهُ كانَ ضَحِيَّةَ خَيالِهِ هُوَ ؛ فَأصْبَحَ في النِّهايةِ مَجْنونًا فِعْلًا . وَلَمْ يَعُدْ يَحْيا في عالَمِنا ، وَقَتَلَهُ خَيالُهُ . وَهُوَ افْتِراضٌ قائِمٌ بِطَبيعةِ الحالِ ، وَيُمْكِنُ أنْ يَحْدُثَ ، إلّا أنَّني لَنْ أتَوَصَّلَ أبَدًا لِحَلِّ هٰذا اللُّغْزِ .

الشَّيْءُ الوَحيدُ الَّذي يُمْكِنُني عَمَلُهُ الآنَ ، هُوَ إعْطاءُ وَصْفٍ تَفْصيلِيٍّ لِلَيْلَةِ الأرْبِعاءِ ، في اليَوْمِ الثّالِثِ وَالعِشْرينَ مِنْ شَهْرِ يَناير .

وَصَلْتُ إلى بَيْتِ وِلْيم في الوَقْتِ المُعْتادِ ، أيْ قُبَيْلَ الثّامِنةِ بِقَليلٍ ، وَكانَ المَنْزِلُ مُظْلِمًا تَمامًا ؛ وَهٰذا ما دَهِشْتُ لَهُ ، فَعادةً ما تَكونُ إحْدى الحُجُراتِ مُضاءةً . طَرَقْتُ البابَ الأمامِيَّ وَ انْتَظَرْتُ .. ما مِنْ إجابةٍ ! وَدَهِشْتُ لِهٰذا أيْضًا ، فَقَدْ كانَ مِنْ عادةِ وِلْيم أنْ يَفْتَحَ البابَ في الحالِ .

وَظَنَنْتُ أنَّهُ خَرَجَ ، وَلٰكِنَّ هٰذا الِاحْتِمالَ بَعيدٌ ، فَلَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ كَثيرًا ، وَدائِمًا يَكونُ بِالبَيْتِ في كُلِّ يَوْمٍ أرْبِعاءَ ، بَلْ إنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ قَطُّ في يَوْمِ الأرْبِعاءِ .

أخَذْتُ أطْرُقُ البابَ بِعُنْفٍ ؛ وَلٰكِنْ ما مِنْ إجابةٍ أيْضًا ؛ فَحاوَلْتُ أنْ أفْتَحَ البابَ الأمامِيَّ ؛ وَلَمْ أسْتَطِعْ ؛ فَذَهَبْتُ إلى البابِ الخَلْفِيِّ ، وَطَرَقْتُهُ ، وَ انْتَظَرْتُ مَرَّةً أُخْرى .. وَما مِنْ إجابةٍ ! وَ حاوَلْتُ أنْ أفْتَحَ هٰذا البابَ أيْضًا ؛ وَلَمْ أتَمَكَّنْ ؛ فَنادَيْتُ وِلْيم بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ عِدَّةَ مَرّاتٍ ؛ وَلٰكِنْ ما مِنِ اسْتِجابةٍ ، فَألْقَيْتُ بِضْعَ حَصَياتٍ صَغيرةٍ عَلى نَوافِذِ الطّابَقِ العُلْوِيِّ ؛ فَلَمْ يَظْهَرْ أحَدٌ عِنْدَ أيٍّ مِنْها . إنَّهُ لَشَيْءٌ غَريبٌ !

وَ دُرْتُ حَوْلَ المَنْزِلِ ، وَنَظَرْتُ إلى النَّوافِذِ في الطّابَقِ الأرْضِيِّ ، وَكانَتْ كُلُّها مُغْلَقةً . وَلٰكِنَّني وَجَدْتُ في النِّهايةِ نافِذةً صَغيرةً كانَتْ مَفْتوحةً . إنَّها نافِذةُ المَطْبَخِ خَلْفَ المَنْزِلِ . تَسَلَّقْتُ النّافِذةَ ثُمَّ دَخَلْتُ مِنْ خِلالِها (لَمْ يَكُنِ الأمْرُ سَهْلًا !) ثُمَّ أضَأْتُ نورَ المَطْبَخِ .

كانَ كُلُّ شَيْءٍ في المَطْبَخِ مُرَتَّبًا . صَحيحٌ أنَّ وِلْيم يَعيشُ بِمُفْرَدِهِ ، وَلٰكِنَّهُ كانَ شَخْصًا مُنَظَّمًا لِلْغايةِ ، وَكانَ المَكانُ نَظيفًا وَمُرَتَّبًا .

ذَهَبْتُ مُباشَرةً إلى حُجْرةِ المَعيشةِ ، حَيْثُ كُنّا نَلْعَبُ الشَّطْرَنْجَ دائِمًا ، وَ أضَأْتُ النّورَ . كانَتْ هٰذِهِ الغُرْفةُ أيْضًا مُرَتَّبةً : فَرُقْعةُ الشَّطْرَنْجِ عَلى

ٱلمِنْضَدةِ ، وَ قِطَعُ الشُّطْرَنْجِ في صُنْدوقِها ٱلخَشَبِيِّ بَجانِبِ الرُّقْعةِ . وَتَعَجَّبْتُ مِنْ ذٰلِكَ ، فَعادةً ما يَضَعُ وِلْيَم قِطَعَ الشُّطْرَنْجِ عَلى الرُّقْعةِ قَبْلَ مَجيئي ، فَهُوَ دائِمًا يَسْتَعِدُّ لِلْمُباراةِ . وَعِنْدَما لاحَظْتُ ذٰلِكَ بَدَأَ ٱلقَلَقُ يُساوِرُني ؛ وَ أَخَذْتُ أُناديهِ بِاسْمِهِ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ ، وَكانَتْ لَفْظَةُ وِلْيَم تَرِنُّ وَيَتَرَدَّدُ صَداها في ٱلمَنْزِلِ ٱلخالي . وَلٰكِنْ ما مِنْ أَحَدٍ يُجيبُ ! فَتَرَكْتُ حُجْرةَ ٱلمَعيشةِ ، وَوَقَفْتُ أَسْفَلَ الدَّرَجِ ، ثُمَّ نادَيْتُ : وِلْيَم ! وَ لَمْ يُجِبْ أَحَدٌ .

تَحَوَّلَ ٱلقَلَقُ فَجْأَةً إلى خَوْفٍ – خَوْفٍ عَلى وِلْيَم ! ما ٱلأَمْرُ ؟ صَعِدْتُ إلى الطّابِقِ ٱلعُلْوِيِّ بِسُرْعةٍ ، وَكُنْتُ أَصْعَدُ ثَلاثَ دَرَجاتٍ في ٱلمَرَّةِ ٱلواحِدةِ ، وَذَهَبْتُ مُباشَرةً إلى حُجْرةِ ٱلمَكْتَبِ ، لَعَلَّهُ ما زالَ يَعْمَلُ هُناكَ وَلَمْ يَسْمَعْني .

طَرَقْتُ بابَ حُجْرةِ ٱلمَكْتَبِ وَ ٱنْتَظَرْتُ .. لَمْ يَكُنْ هُناكَ ضَوْءٌ يَتَسَرَّبُ مِنْ أَسْفَلِ البابِ ، وَلَمْ يُجِبْني أَحَدٌ ، لِذا دَخَلْتُ ٱلحُجْرةَ ، وَ أَضَأْتُ ٱلنّورَ . كانَتِ ٱلحُجْرةُ غَيْرَ مُرَتَّبةٍ ، فَٱلأَوْراقُ تُغَطّي ٱلمَكْتَبَ وَ ٱلأَرْضَ ، وَلَمْ أُنْظُرْ – في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ – إلى ٱلأَوْراقِ ، فَلَمْ أَكُنْ مُهْتَمًّا بِها ، فَأَنا أُؤَلِّفُ ٱلكُتُبَ أَيْضًا ، وَلا أُحِبُّ أَنْ يَطَّلِعَ أَحَدٌ عَلى مُسَوَّداتِ كُتُبي ! لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ – حِينَذاكَ – أَنَّ هٰذِهِ ٱلأَوْراقَ هِيَ مُسَوَّداتُ ٱلكِتابِ الَّذي

قُمْتُ بِمُراجَعَتِهِ ، وَلٰكِنّي ٱكْتَشَفْتُ ذٰلِكَ – فيما بَعْدُ – عِنْدَما جاءَتِ الشُّرْطةُ ، وَقَرَأُوا مَخْطوطَ وِلْيَم أَوَّلًا ، ثُمَّ أَذِنوا لي – بَعْدَ عِدَّةِ أَيّامٍ – بِأَخْذِهِ .

عِنْدَما غادَرْتُ حُجْرةَ مَكْتَبِ وِلْيَم لَمْ أَذْهَبْ مُباشَرةً إلى حُجْرةِ نَوْمِهِ .. لِسَبَبٍ بَسيطٍ . لا تَنْسَ أَنَّ السّاعةَ لَمْ تَكُنْ تَجاوَزَتِ الثّامِنةَ إلّا قَليلًا . وَهُوَ وَقْتٌ مُبَكِّرٌ لا يَذْهَبُ فيهِ أَيُّ امْرِئٍ إلى فِراشِهِ . وَ لِذٰلِكَ رُحْتُ أَتَنَقَّلُ في ٱلبَيْتِ مِنْ حُجْرةٍ إلى حُجْرةٍ أُنادِيهِ وَ أُكَرِّرُ ٱلنِّداءَ وَفي نِهايةِ ٱلمَطافِ لَمْ تَبْقَ إلّا حُجْرةٌ واحِدةٌ : حُجْرةُ النَّوْمِ .. فَاتَّجَهْتُ إلَيْها .

كانَ بابُ حُجْرةِ النَّومِ مُغْلَقًا ، فَطَرَقْتُهُ بِلُطْفٍ وَ ٱنْتَظَرْتُ .. وَطَرَقْتُهُ ثانِيةً .. لا شَيْءَ ! فَتَحْتُ ٱلبابَ بِهُدُوءٍ .. كانَتِ ٱلحُجْرةُ مُظْلِمةً تَمامًا ، وَكانَ ٱلجَوُّ بارِدًا في ٱلحُجْرةِ إنَّني أَتَذَكَّرُ ٱلآنَ أَنَّ بَعْضَ أَجْزاءِ ٱلمَنْزِلِ ٱلأُخْرى كانَتْ دافِئةً .. وَ أَخَذْتُ أُرْتَعِدُ في حُجْرةِ وِلْيَم ، وَلَمْ أَعْرِفْ لِماذا ، وَلٰكِنَّني أَحْسَسْتُ بِخَوْفٍ غَريبٍ ، كَما لَوْ كانَ هُناكَ شَخْصٌ في ٱلحُجْرةِ – كَما لَوْ أَنَّ شَخْصًا كانَ يُراقِبُني (أَوْ لَعَلَّني كُنْتُ أَتَخَيَّلُ ذٰلِكَ) . وَ تَحَسَّسْتُ ٱلحائِطَ باحِثًا عَنْ مِفْتاحِ الضَّوْءِ ، وَلٰكِنْ كانَ ٱلفَزَعُ يُسَيْطِرُ عَلَيَّ ؛ فَلَمْ أَجِدْهُ (كانَ قَلْبي يَدُقُّ بِشِدَّةٍ) ثُمَّ رَكَلْتُ شَيْئًا ، وَ عِنْدَما تَحَسَّسْتُهُ وَجَدْتُهُ مِنْضَدةَ السَّريرِ ٱلخاصَّةَ بِوِلْيَم .

تَحَسَّسْتُ قُرْصَ ٱلمِنْضَدةِ حَتَّى وَجَدْتُ ٱلمِصْباحَ ، وَ ضَغَطْتُ عَلى ٱلمِفْتاحِ ؛ لٰكِنَّهُ لَمْ يُضِئْ ! و إذا بي أُرْكُلُ شَيْئًا مُلْقًى عَلى ٱلأَرْضِ : كانَ ذٰلِكَ الشَّيْءُ ٱلقابِسَ . جَثَوْتُ عَلى رُكْبَتَيَّ وَ أَمْسَكْتُ بِهِ ، وَ تَساءَلْتُ : « لِماذا لا يَكونُ ٱلقابِسُ في مَوْضِعِهِ بِٱلمَقْبِسِ ؟ »

وَضَعْتُ ٱلقابِسَ في ٱلمَقْبِسِ ؛ فَأَضاءَ ٱلمِصْباحُ ، ثُمَّ نَهَضْتُ واقِفًا ، وَ دُرْتُ بِبَصَري في أَنْحاءِ ٱلحُجْرةِ . لَمْ أُصَدِّقْ عَيْنَيَّ ! كانَتِ ٱلحُجْرةُ في حالةٍ سَيِّئةٍ مِنَ ٱلفَوْضى : نافِذَتانِ مَكْسورَتانِ ، شَظايا مِنَ الزُّجاجِ تُغَطِّي ٱلأَرْضَ ، قِطَعُ ٱلمَلابِسِ عَلى ٱلأَرْضِ أَيْضًا – مَلابِسِ وِلْيم وَفُسْتانِ سَهْرةٍ لِجولي . وَكانَتْ خِزانةُ ٱلمَلابِسِ مُهَشَّمةً تَمامًا ، وَ قِطَعٌ مِنَ ٱلخَشَبِ مُبَعْثَرةً عَلى ٱلأَرْضِ . كانَ هُناكَ أَيْضًا قُصاصاتٌ مِنَ ٱلوَرَقِ . ٱلْتَقَطْتُ قُصاصةً مِنْها ؛ وَ أَدْرَكْتُ أَنَّها جُزْءٌ مِنَ صورةٍ .. هَبَّتْ ريحٌ بارِدةٌ مِنْ خِلالِ النّافِذةِ ٱلمَكْسورةِ ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ مُواءَ قِطَّةٍ في ٱلخارِجِ . وَكانَتْ تَبْكي كَأَنَّها طِفْلٌ صَغيرٌ . يا لَلْمِسْكينةِ !

وَدِدْتُ أَنْ أُغادِرَ ٱلحُجْرةَ بِسُرْعةٍ ، وَلٰكِنْ كانَ عَلَيَّ – أَوَّلًا – أَنْ أَجِدَ وِلْيم . وَكانَ السَّريرُ ٱلمُزْدَوِجُ مُلاصِقًا لِلْحائِطِ ، وَكانَ هُناكَ شَخْصٌ تَحْتَ ٱلأَغْطِيةِ ، وَثَمَّةَ وِسادةٌ عِنْدَ طَرَفِ السَّريرِ ٱلأَعْلى . رَفَعْتُ ٱلوِسادةَ بِهُدوءٍ ، وَكانَتْ تُغَطِّي وَجْهَ وِلْيم تَمامًا . وَ أَدْرَكْتُ في ٱلحالِ أَنَّهُ مَيِّتٌ .

مَلأني وَجْهُ وِلْيم بِالْفَزَعِ ، فَقَدْ كانَتْ عَيْناهُ مَفْتوحَتَيْنِ عَلى اتِّساعِهِما ، وَكانَ فَمُهُ أَيْضًا مَفْتوحًا ، وَكانَتْ عَلاماتُ الْخَوْفِ وَالْفَزَعِ مَرْسومَةً عَلى وَجْهِهِ . كانَتْ عَيْناهُ جاحِظَتَيْنِ ناحِيَتي . كانَتا تُحَمْلِقانِ في فَزَعٍ .

وَضَعْتُ الْوِسادَةَ عَلى وَجْهِ وِلْيم بِهُدوءٍ ، وَلَمْ أَشَأْ أَنْ أُغَيِّرَ مِنْ وَضْعِ أَيِّ شَـيْءٍ قَبْلَ حُضورِ الشُّرْطَةِ . وَوَقَفْتُ طَويلًا أَمامَ الْجُثَّةِ ، فَقَدْ شَلَّتْني الصَّدْمَةُ عَنِ الْحَرَكَةِ تَمامًا ، إِذْ كانَ يَسودُ الْحُجْرَةَ جَوٌّ كَئيبٌ ، شِرِّيرٌ لِلْغايَةِ !

وَفي أَثْناءِ وُقوفي هُناكَ لاحَظْتُ شَيْئًا غَريبًا عَلى الْوِسادَةِ .. كانَتْ تَحْمِلُ بَصَماتٍ واضِحَةً – أَشْبَهَ بِبَصْمَةِ كَفِّ الْيَدِ ، كَما لَوْ أَنَّ يَدًا كانَتْ تَضْغَطُ الْوِسادَةَ بِشِدَّةٍ عَلى وَجْهِ وِلْيم – وَ داوَمَتِ الضَّغْطَ عَلى وَجْهِهِ حَتَّى لَفَظَ أَنْفاسَهُ الأَخيرَةَ .

المغامرات المثيرة

١ ــ مغامرة في الأدغال
٢ ــ مغامرة في الفضاء
٣ ــ مغامرة أسيرين
٤ ــ مغامرة في الجزيرة الخضراء
٥ ــ مغامرة على الشاطىء
٦ ــ الجاسوس الطائر
٧ ــ لصوص الطريق
٨ ــ حمد الغواص الشجاع
٩ ــ اللصان الغبيان
١٠ ــ مطاردة لصوص السيارات
١١ ــ مغامرات السندباد البحري
١٢ ــ لعبة خطرة
١٣ ــ الخشرة الذهبية وقصص أخرى
١٤ ــ اللؤلؤة السوداء
١٥ ــ سر الجزيرة

مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم مرجع كمبيوتر 01 C 198 2:2